الأبحاث والدراسات

146

محافظة أحد رفيدة كما شاهدتها وسمعت عنها (*)

أ. د. غيثان بن علي بن جريس

(*) دراسة منشورة في كتاب: القول المكتوب في تاريخ الجنوب، لغيثان بن جريس (الطبعة الأولى)(الرياض : مطابع الحميضي،١٤٤٠هـ/٢٠١٨م)،(الجزء الرابع عشر)، ص ص ١٤٨ – ٢٠٢ . (الطبعة الثانية/١٤٤٢ هـ / ٢٠٢٠م)، (نفس الصفحات السابقة).

خامساً: محافظة أحد رفيدة كما شاهدتها وسمعت عنها . بقلم أ. د. غيثان بن علي بن جريس .

م	الموضوع	الصفحة
١	**مدخل**	**١٤٩**
٢	**الجغرافيا والسكان**	**١٥٠**
	أ. الجغرافيا	١٥٠
	ب. السكان	١٥١
٣	**لمحة عن الحياة الإدارية**	**١٥٣**
٤	**صور من الحياة الاجتماعية**	**١٥٤**
	أ. الأسرة	١٥٤
	ب. العمارة	١٥٧
	ج. الطعام واللباس	١٦١
	د. الفنون والألعاب	١٦٨
	هـ. اللهجة وبعض المفردات اللغوية	١٧٠
	و. عادات وتقاليد أخرى	١٧٣
٥	**صفحات من التاريخ الاقتصادي**	**١٨١**
	أ. الجمع والالتقاط ، الصيد ، الرعي	١٨١
	ب. الزراعة	١٨٢
	ج. الحرف والصناعات	١٨٥
	د. التجارة	١٨٩
٦	**التعليم ، والفكر والثقافة**	**١٩٤**
٧	**السياحة**	**١٩٨**
٨	**خلاصة القول**	**١٩٩**

١. مدخل

إن بلاد رفيدة ذات تاريخ قديم، وحديثنا في صفحات سابقة عن جُرَش، التي تقع ضمن هذه الديار، أكبر دليل على قدم تاريخ هذه الأوطان وعراقتها . ونجد في جزئيات سابقة من هذا القسم تفصيلات عن تاريخ وحضارة أرض وسكان رفيدة منذ عصور ما قبل الإسلام، وخلال العهود الإسلامية المبكرة والوسيطة [١] .

وديار رفيدة القديمة أصبح اسمها الإداري والجغرافي والسكاني (محافظة أحد رفيدة) [٢]، وهي أحد المحافظات الرئيسية التابعة لمنطقة عسير، وتعد جزءاً من بلاد قحطان الجنوب، ويحدها من الشمال أجزاء من محافظتي خميس مشيط وطريب، ومن الجنوب والشرق أجزاء من محافظة سراة عبيدة، ومن الغرب أجزاء من حاضرة أبها[٣]

وكوني أقوم برحلات في أجزاء من بلدان تهامة والسراة، فقد اجتزت بلاد رفيدة (محافظة أحد رفيدة) مرات عديدة منذ عام (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م)، لكنني لم أدون عنها تفصيلات تاريخية وحضارية كما فعلته في نواح أخرى من جنوب المملكة العربية السعودية[٤] وفي منتصف عام (١٤٣٩هـ/٢٠١٨م) قررت أن أذهب إلى هذه الناحية (محافظة أحد رفيدة) وأتجول في ربوعها، وأدون شيئاً من تاريخها وحضارتها الحديثة والمعاصرة . وقد سافرت في أرجائها يومين في شهرين متتالين السبت (٥/٢٤/ والسبت ١٤٣٩/٦/١هـ) الموافق ١٠، ١٧/فبراير/ ٢٠١٨م)، وكان يرافقني أثناء رحلتي في هذه البلاد أستاذان جليلان من سكان هذه المحافظة، وهما: الأستاذ محمد بن مشبب بن محمد آل شيبان، والأستاذ سعد بن سعيد آل دايل القحطاني، والأول من قرية آل علي في شعف شهران، والثاني من قرية درب العقيدة في مدينة أحد رفيدة [٥] . وكانت بداية جولتنا من جنوب غرب المدينة العسكرية وسرنا إلى الواديين[٦]، ثم آل جليحة، وآل

---

(١) للمزيد انظر المحورين الثاني والثالث الوارد ذكرهما في صفحات سابقة من هذا القسم .

(٢) نشأت هذه المحافظة في العصر الحديث باسم (دورية) أو مركز صغير يشرف عليه موظف يراجع إمارة أبها عام (١٣٦٢هـ/١٩٤٢م)، ثم تحولت إلى (إمارة أحد رفيدة) عام (١٣٧٥هـ/١٩٥٥م)، وأخيراً أصبحت محافظة مستقلة منذ عام (١٤١٤هـ/١٩٩٣م) .

(٣) هذه المحافظات والنواحي التي تحيط بمحافظة أحد رفيدة تستحق أن تدرس في بحوث ودراسات مستقلة .

(٤) ذهبت في رحلة من أبها إلى سراة عبيدة يوم الخميس (١٤١٢/١٠/١٣هـ)، وكتبت صوراً من تاريخ هذه البلاد التي مررت عليها وكان هناك معلومات محدودة عن بلاد أحد رفيدة. كما ذهبت في رحلة أخرى إلى محافظة ظهران الجنوب من الخميس (١١/٢٩ إلى الأحد ١٤٣٧/١٢/٢هـ) وكتبت صفحات عديدة عن تلك المحافظة الجنوبية السعودية . للمزيد انظر: غيثان بن جريس. القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٢هـ) (الجزء الثاني) ص ٤٣٥ومابعدها، للمؤلف نفسه، القول المكتوب في تاريخ الجنوب (١٤٣٨هـ/٢٠١٧م) (الجزء الحادي عشر)، ص ١٣ـ ٧٤ .

(٥) وللمزيد عن تراجم هذين الاستاذين انظر مدوناتهما في المحور الرابع من هذا القسم .

(٦) أنشئت مدينة الملك فيصل العسكرية في خميس مشيط وافتتحها الملك فيصل في (١٣٩١/٧/٢٤هـ).

حلامي، والحبلة، وقريتي القرن وآل علي في أرض تمنية، ثم عدنا إلى أجزاء من عشيرة آل الجحل في الشمال الغربي من مدينة أحد رفيدة [١] . وفي يوم آخر تجولت أنا والأستاذ سعد بن دايل في أرجاء مدينة أحد رفيدة[٢] . ووقفنا على بعض معالمها التاريخية والحضارية القديمة والحديثة، ثم تنقلنا في مواطن عديدة لبعض عشائر رفيدة مثل آل الشواط ،وآل مستنير[٣]، وذعي وبني قيس في الناحية الشمالية والشمالية الشرقية من مدينة الأحد . وبلاد عشائر الحاف، وجارمة، وخطاب، ووقشة[٤] في الأجزاء الجنوبية، والجنوبية الغربية والشرقة من محافظة رفيدة . وقد شاهدنا الكثير من معالم هذه الأوطان، والتقينا وسمعنا من بعض أعلامها وأعيانها، وهذا ما سوف ندونه في المحاور التالية :

٢ـ الجغرافيا والسكان :

أ ـ الجغرافيا :

تتنوع تضاريس محافظة أحد رفيدة، ففيها الجبال السروية الممتدة من قريتي آل علي والقرن في أرض تمنية الشهرانية، وإلى الشرق والجنوب الشرقي تقع قرى آل حلامي من عشيرة الحاف، ثم شعف جارمة ولجوان، ثم قرى عشيرة وقشة وسط محافظة سراة عبيدة . وإلى الغرب من هذه الجبال تقع منطقة الأصدار، وتهامة ويستوطنها العديد من القرى التي تنتسب في عشائر رفيدية مثل الحاف وجارمة[٥] . أما الأجزاء الشرقية لمرتفعات السراة والممتدة شرقاً، فهي تمثل معظم المحافظة الرفيدية وتستوطنها معظم عشائر هذه المحافظة . وتتوسطها مدينة الأحد، التي هي مركز المحافظة . ويوجد جبال عديدة في المحافظة مثل: دخان، وظور معافا، والحرشاء، وغريران، والعزيزة، ونيس، والحمايط، والأحمر، والصحن، والصفيح، والقهرة، ومهلهل، والكرار، والصفاح،

(١) هذه الجولة كانت يوم السبت (١٤٣٩/٥/٢٤هـ)، وكان برفقتي الأستاذان محمد بن مشبب آل شيبان، وسعد بن دايل .

(٢) كانت هذه الجولة يوم السبت (١٤٣٩/٦/١هـ) .

(٣) عشيرة آل مستنير قحطانية رفيدية، وتنقسم إلى قسمين، أحدهما في شمال بلاد رفيدة، والآخر في بلاد تندحة بمحافظة خميس مشيط. ومازال هذان القسمان مترابطين ومتصلين، ولا أعلم ما هو سبب هذا الانقسام . أرجو أن نرى باحثاً جاداً يدرس تاريخ هذه العشيرة ومواطن استقرارها قديماً وحديثاً .

(٤) عشيرة وقشة رفيدية الأصل، وتقع في نطاق محافظة سراة عبيدة، ومن قراها : آل بلحي، وآل خزيم، وآل علوان، والجزعة، والحرقان، والخمرة، والعيص، والقرن وغيرها . وتتميز أرض وقشة بموقعها الجغرافي المميز، وثراء أرضها . وهي جديرة أن يكتب عنها بحث أو رسالة علمية موثقة .

(٥) شاهدت مع الأستاذين ابن شيبان وابن دايل عدداً من القرى في مرتفعات السراة، وتهامة ومنطقة الأصدار، مثل:موغط وهيمان، والشلة التابعة لآل جليحة من عشيرة الحاف . وبنو مليك في منطقة الحبلة، حتى وادي ذهب، وعراب آل هلال من عشيرة جارمة يعيشون على أجزاء من وادي عتود . المصدر: مشاهدات الباحث يوم السبت (١٤٣٩/٥/٢٤هـ) .

والأشـقر، والأنصب، والركيب، والصوح، والمربع، والمعقل، والشن، وشكر، وضمك، وقهرة بني تميم، والقعود، وحمومة، وهضبة شفيع، والحاجب، وظلم، والظاهر[١].

ويوجد في المحافظة الكثير مـن الأودية المتفاوتة في الطول والعرض والأهمية، ومن تلـك الأوديـة: الحويب، والذيبة، والجـوف، وخبار، والخنق، وعنقة، والطلحة، وبيشـة وتندحـة[٢]، وذهب، والقرن، والعقيرة، وردوم، والمربع، والمسـكونة، وموغظ، والواديين، وعنقرة، وواظ، وبيشـة[٣]، وآل السـواد، وآل عمرة، والشـيق، والصـفق، والمنجور، وآل بلحي، والسر، والغرس، والمنشر[٤].

ويتماز مناخ محافظة أحد رفيدة بالاعتدال في فصل الصيف، والبرودة نوعاً ما في فصل الشتاء. والمرتفعات الغربية من المحافظة تزداد برودتها في الشتاء، وأحياناً يظهر الضـباب فيها وبخاصة المنطقة الممتدة من قرى آل علي، والقرن وآل حلامي إلى شعف جارمة ولجوان. وتسـقط الأمطار على المحافظة في فصـل الصيف، وأحياناً في فترات متقطعة من العام. ويوجد فيها الكثير من النباتات الصغيرة والكبيرة، ومناطق الأصدار والمرتفعات السروية في قرى آل جليحة، وآل علي، والقرن، وآل حلامي، والحبلة، وأجزاء من قرى الواديين تكثر فيها أشجار العرعر وغيرها من الأشجار الجبلية دائمة الخضرة[٥]. كما يوجد في أرض محافظة أحد رفيدة العديد من الطيور البرية، والقرود، والذئاب، والزواحف، والحشـرات المتنوعة في ألوانها وأحجامهـا، وكذلك الحيوانات الأليفة مثل: الأغنام، والماعز، وبعض الأبقار، والجمال، وأحياناً الخيول[٦].

ب - السكان:

سكان المحافظة عرب أصليون، والباحث في تاريخ هذه البلاد يجد أن المصادر الأولية ذكرت العديد من العشـائر التي اسـتوطنت بلاد رفيدة من قبل الإسلام وخلال العصور

---

(١) هذه بعض الجبال الموجودة في محافظة أحد رفيدة، ومن المؤكد أننا لم نذكر جميع جبال هذه البلاد، لكن هذا ما سمعته من بعض الرواة في هذه المنطقة وهي جبال متفرقة في عموم المحافظة، نأمل أن نرى باحثاً جاداً يدرس تاريخ وتضاريس جبال المحافظة.

(٢) وادي تندحة وبلاد تندحة من أرض شهران وتتبع محافظة خميس مشيط، لكن يسكنها فرع من عشيرة آل مستنير الرفيدية.

(٣) ليس وادي بيشة المعروف، وإنما يسمى وادي بيشة بن سالم.

(٤) تاريخ الأودية في عموم سـروات قحطان من الموضـوعات الجديدة التي لم يسـبق دراستها، ونأمل من طلاب قسم الجغرافيا، برنامج الدراسات العليا، في جامعة الملك خالد أن يتولوا هذا الموضوع بالعديد من البحوث العلمية.

(٥) دراسـة الغابات والنباتات في سـروات عسـير من بلاد بلقرن شـمالاً إلى محافظة ظهران الجنوب جنوباً جديرة بالدراسة والبحوث العلمية الأكاديمية الموثقة.

(٦) تاريخ الثروة الحيوانية في منطقة عسير من الموضوعات الجديدة والجديرة بالبحث والدراسة في عدد من البحوث العلمية.

الإسلامية المختلفة . وهناك بحوث أسهبت في أنساب سكان رفيدة، ومنهم من قال أنهم قحطانيون . والمتأمل في تاريخ بلاد السروات من اليمن إلى الحجاز يجد أن معظم سكان هذه الجبال يعودون إلى أصول يمنية، وقد خالطهم فخوذ وفروع عدنانية[١] .والسائح في أرض محافظة أحد رفيدة اليوم، والمتأمل في عاداتهم، ولغاتهم، وتراثهم، وهيئاتهم يتضح له أنهم قبائل يمنية قحطانية . وإذا درسنا نسب كل عشيرة على حدة، فالسواد الأعظم منهم يعودون في قحطان، ويوجد فيهم بعض الأسر والفخوذ العدنانية[٢] .

وعشائر المحافظة الرئيسية هم الأساس في استيطان هذه البلاد [٣]، ومع مرور الزمن خالطهم أجناس عربية أخرى جاءت إلى بلادهم من قبائل وعشائر أخرى في الجزيرة العربية، ومنهم من استوطن هذه البلاد، واندمج مع أهلها . وهناك عناصر عربية أخرى جاءت من خارج الجزيرة العربية وبخاصة خلال القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي) وعملوا في أعمال عديدة مثل: التعليم، والدعوة إلى الله، وفي بعض الوظائف الحكومية والأهلية، وهذا الصنف من الناس لا يعيشون في هذه البلاد بشكل دائم، وإنما جاءوا للعمل والوظيفة أو التجارة، ثم غادروا البلاد، لكنهم عاشوا وتعايشوا مع سكان المحافظة . ومازلنا نشاهد من هذه الأجناس العربية السودانية، والمصرية، والأردنية، والفلسطينية، والخليجية، وغيرهم يعيشون في أجزاء من المحافظة، بل بعضهم وبخاصة الخليجيين امتلكوا بعض البيوت والعقارات. أما العناصر غير العربية، ومنهم المسلمون، وغير المسلمين، فهم أيضا يعيشون في المحافظة ويعملون في مهن ووظائف عديدة، ومن هذه الأجناس: الباكستانيون، والهنود، والإندونيسيون، والفلبينيون، وبعض العناصر الإفريقية وقليل من الغربيين وغيرهم [٤] .

وأقول إننا لم نفصل الحديث عن سكان محافظة أحد رفيدة من حيث أنسابهم وأصولهم، أو أسباب استيطانهم بلادهم، أو ألوانهم، أو مهنهم . كما أننا لم نشر إلى

---

(١) تاريخ أنساب عشائر السروات من الموضوعات الشائكة والجديرة بالعديد من البحوث والدراسات العلمية الموثوقة .

(٢) يوجد إلى اليوم بعض أسر الأشراف الذين يسكنون في قرى عديدة من محافظة أحد رفيدة، ولهم تاريخ وعندهم وثائق ومدونات تروي تاريخهم وأصولهم . ونأمل أن نرى أحد طلابنا في برنامج الدراسات العليا في قسم التاريخ بجامعة الملك خالد فيدرس تاريخ الأشراف في عموم منطقة عسير.

(٣) عشائر المحافظة الرئيسية هي :ذعي، وبنو قيس، ووقشة، وآل الشواط، وآل الجحل، وآل مستنير، والحاف، وجارمة، وخطاب.

(٤) لم نستطع حصر كل العناصر والأجناس التي عاشت أو تعيش في محافظة أحد رفيدة عبر أطوار التاريخ الإسلامي . وموضوع الأجناس التي تعيش في المحافظة منذ منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى اليوم من العناوين المهمة والجديدة التي لم تدرس ونأمل من أحد طلابنا في برنامج الدراسات العليا أن يتخذ من هذا الموضوع عنواناً لأطروحة الماجستير أو الدكتوراه .

الطبقية في المجتمع، وندرس ما تمتع به كل طبقة من حيث المركز القبلي، أو الاجتماعي، أو المالي، أو التعليمي، أو الوظيفي، فهذه كلها موضوعات جديدة وتستحق أن تدرس في بحوث علمية نزيهة وحيادية وصادقة[١].

٣. لمحة عن الحياة الإدارية :

بلاد رفيدة جزء من مخلاف جُرَش الذي ورد ذكره في مصادر التاريخ والحضارة الإسلامية، وكان هذا المخلاف يتبع إدارياً لإدارة الدولة الإسلامية في المدينة في عهد الرسول ﷺ والخلافة الراشدة، ثم الدولة الأموية في الشام، وأوائل الدولة العباسية في بغداد[٢]. وإذا بحثنا عن أحوال هذه الأوطان خلال القرون الإسلامية الوسيطة والحديثة فلا نجد مصادر واضحة تفصل الحديث عن التاريخ السياسي والإداري في عموم السروات من نجران وظهران الجنوب إلى الطائف، وكانت القبائل وشيوخها وأعيانها هم أصحاب الحل والعقد في بلادهم[٣].

ونجد في العصر الحديث ظهور عدد من الإمارات والقوى السياسية في عسير، ومدينة أبها وما حولها هي العاصمة السياسية والإدارية لعموم المنطقة العسيرية [٤]. وبلاد رفيدة جزء صغير من المنطقة، وشيوخ قبائلها هم حلقة الوصل بين بلادهم وتلك الإمارات التي قامت في عسير أو جازان وما حولهما[٥].

---

(١) بلادنا (أرض تهامة والسراة) أو أي ناحية من نواحي المملكة العربية السعودية جديرة بالبحث العلمي والتوثيق في شتى مناحي الحياة. واليوم نجد في البلاد السعودية عشرات الجامعات والمراكز والبحوث العلمية، كما يوجد فيها آلاف الدراسين. وأقول إن علينا معشر الباحثين مسؤوليات كبيرة تجاه خدمة ديننا وأهلنا وبلادنا وبخاصة في ميادين البحث والعلوم والمعارف.

(٢) تاريخ الإدارة في بلاد السراة منذ العصر الجاهلي إلى القرن (١٤هـ/٢٠م) من الموضوعات الجديدة التي لم تدرس، ونأمل أن نرى بعض المؤرخين والباحثين الجادين يدرسون هذا الموضوع في عدد من البحوث والرسائل العلمية.

(٣) هناك عدد من المصادر الإسلامية المبكرة التي أشارت إلى سيطرة القبيلة على أرضها، وكان شيخ القبيلة هو الآمر الناهي في بلاده. وكل عشيرة مستقلة عن الأخرى، وهم دائماً في صدامات وصراعات على موارد المياه، وأماكن الرعي، ومواطن الاستيطان.

(٤) من الإمارات التي ظهرت في عسير في العصر الحديث: إمارة آل المتحمي (١٢١٥-١٢٣٣هـ/١٨٠٠-١٨١٨م)، وإمارة آل عائض (١٢٤٩-١٢٨٩هـ/١٨٣٣-١٨٧٢م)، والمتصرفية العثمانية في عسير (١٢٨٩-١٣٣٧هـ / ١٨٧٣-١٩١٩م)، ثم حكومة الملك عبدالعزيز بن عبد الرحمن آل سعود بعد عام (١٣٣٨هـ-١٩٢٠م). وقد صدر عدد من البحوث والكتب عن هذه الإمارات، لكن مازال هناك موضوعات تاريخية وحضارية كثيرة بحاجة إلى دراسات علمية أكاديمية، ونأمل من قسم التاريخ في جامعة الملك خالد أن يوجه طلابه في الدراسات العليا لدراسة هذه الميادين العلمية المتنوعة.

(٥) اطلعت على بعض وثائق القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م)، ووجدت إشارات عديدة تذكر صلات الحكومات التي نشأت في عسير، أو بعض القوات الأخرى في منطقة جازان مثل: إمارة حمود أبو مسمار، أو الإدريسي ومحاولة تلك الإمارات كسب قلوب أولئك الشيوخ، وأحياناً يُطلب منهم دفع الزكوات المفروضة عليهم. وكل ما ورد في هذه الوثائق لا يعطينا صورة واضحة عن التاريخ السياسي والإداري في هذه الأوطان القحطانية.

وفي نهاية العقد الرابع من القرن (١٤هـ/٢٠م) تدخل عسير تحت لواء الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل، ودخلت بلاد رفيدة وعموم منطقة قحطان تحت نفوذ الإمارة السعودية في أبها عام (١٣٤٠هـ/١٩٢١م)، وصار أمير أبها هو الذي يتولى السيادة على جميع منطقة عسير (تهامة وسراة) ويرسل من قبله من يتولى الأمور الإدارية والأمنية في جميع النواحي[١]. وأصبحت بلاد رفيدة وعموم بلاد قحطان تراجع إمارة منطقة عسير. وفي العقد الثاني من القرن (١٥هـ/٢٠م) صارت بلاد رفيدة محافظة مستقلة، يطلق عليها (محافظة أحد رفيدة)[٢]، وتعاقب عليها عدد من المحافظين، بالإضافة إلى مؤسسات إدارية أخرى عديدة أمنية، وعسكرية[٣]، واجتماعية، واقتصادية، وتربوية، وتعليمية وغيرها[٤]. وكون محافظة أحد رفيدة حديثة العهد، فقد نشأت عام (١٤١٤هـ/١٩٩٣م)، وكان ينقصها الكثير من الإدارات الحكومية والأهلية، فكان يراجع أهلها الإدارات الرسمية في أبها وخميس مشيط من أجل قضاء مصالحهم، وأخيراً صار فيها مؤسسات إدارية عديدة تقوم على خدمة الأرض والسكان، ومازال هناك نقص في بعض الإدارات، وبعض أعيان المحافظة وشيوخها مجتهدون في مطالبة الدولة باستكمال ما يعانونه من نقص في هذه الإدارات[٥].

٤- صور من الحياة الاجتماعية:

أ- الأسرة:

كانت الأسرة في محافظة أحد رفيدة إلى عهد قريب بجميع أفرادها: الأجداد والجدات، والآباء والأمهات، والأبناء والبنات والأحفاد يعيشون في منزل واحد، ومن

(١) موضوع التاريخ الإداري والأمني في منطقة عسير في عصر الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل من الميادين الجديدة، ويستحق أن يكون عنواناً لكتاب أو رسالة علمية.

(٢) اسم الأحد جاء من سوق الأحد الأسبوعي الذي مازال مكانه ومعالمه بارزة وسط مدينة أحد رفيدة. وهو سوق قديم ومشهور حتى أصبحت بلاد رفيدة جميعها تعرف باسم (محافظة أحد رفيدة). نأمل أن نرى إحدى طالباتنا أو طلابنا في برامج الماجستير أو الدكتوراه في قسم التاريخ بجامعة الملك خالد يتخذ من هذا الموضوع عنواناً لأطروحته العلمية.

(٣) تاريخ المؤسسات الإدارية في محافظة أحد رفيدة موضوع جديد ويستحق أن يكون عنواناً لرسالة علمية أو كتاب. كما أن مدينة الملك فيصل العسكرية قامت على جزء من بلاد رفيدة، وهي تستحق أن تدرس في عدد من البحوث العلمية، مع الإشارة على أهمية خدمة هذه المدينة لمحافظة أحد رفيدة.

(٤) ترددت على بعض المؤسسات الإدارية في محافظة أحد رفيدة، وفي مدينة أبها بقصد الحصول على مادة علمية توثق تاريخ الإدارات الرسمية في بلاد رفيدة. وللأسف فلم أجد عندهم ما يدعم بحثي بالمعلومات والحقائق العلمية، بل إن بعض الإدارات التي زرتها في محافظة الأحد ومراكزها في الواديين، والفرعين، وشعف جارمة تجدها خالية من الوثائق التاريخية قريبة العهد، وبعض الموظفين القدماء في هذه المؤسسات يجهلون تاريخ هذه الإدارات القديمة والحديثة. والمشكلة التي واجهتها مع إدارات محافظة الأحد تكاد تكون ظاهرة واضحة عند جميع المؤسسات الإدارية في عموم بلاد تهامة والسراة.

(٥) هذا ما سمعه الباحث من بعض رجالات وأعيان وشيوخ محافظة أحد رفيدة أثناء تجواله في بلادهم في شهري جمادى الأولى والآخرة عام (١٤٣٩هـ/٢٠١٨م).

النادر أن يعيش أفراد الأسرة الواحدة متفرقين في بيوت متعددة [١] . والسبب الرئيسي هو ضعف الحياة الاقتصادية، وضيق ذات اليد، مما اضطر أفراد الأسر صغاراً وكباراً للعيش معاً في بيت واحد، وقد يكون البيت صغيراً فيتكون من حجرة أو حُجر قليلة . وكان هناك بعض أسر الأعيان والشيوخ والأغنياء يمتلكون قصوراً أو بيوتاً كبيرة، فتراهم أحسن حالاً من الفقراء وعامة الناس [٢] .

واليوم تحسنت أحوال الناس اقتصادياً، وتوسعوا في بناء منازلهم، بل تفرق أفراد الأسرة الواحدة في أنحاء البلاد السعودية بسبب الوظائف وكسب الرزق. وصارت الأسرة التي تعيش في المنزل الواحد صغيرة فقد لا تتجاوز الزوج والزوجة، وأحياناً عدداً قليلاً من الأطفال . ولم تبق الأسرة كما كانت، من الأجداد إلى الأحفاد، يعيشون في بيت واحد، وإنما أصبح كل واحد من الأولاد يعيش بمفرده مع زوجته وأبنائه في منزل مستقل، وكذلك البنات بعد زواجهن يعشن مع أزواجهن مستقلات في منزل خاص، وأيضاً الآباء والأمهات الكبار يعيشون بمفردهم، وأحياناً يعيشون مع بعض أولادهم كل في منزل أو غرف مستقلة. ونادراً ما نجد الآباء والأمهات، والبنات والأولاد بعد زواجهم يعيشون في منزل واحد كما كان أسلافهم [٣] .

وتقارب أفراد الأسر في السكن قديماً، أثر على علاقاتهم فكانوا متعاونين متقاربين تسودهم روح المحبة والرحمة والعطف. بعكس أفراد الأسرة اليوم عندما تباعدوا في منازلهم وسكنهم فصاروا أقل تقارباً وتحاباً وتراحماً. وهذه الظاهرة تبرز كثيراً في المدينة ومراكز التحضر مثل مدينة أحد رفيدة وغيرها من المدن الرئيسية في بلاد السروات.

---

(١) كان هذا الوضع سائداً في منطقة أحد رفيدة خلال القرون الماضية حتى الثمانينيات والتسعينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م)، ثم بدأت أحوال الناس الاقتصادية تتحسن، وتوفرت الأموال في أيديهم، وحصلوا على وظائف وأعمال تدر عليهم عوائد مادية جيدة، وهذا مما جعلهم يتطورون في منازلهم وأوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية الأخرى.

(٢) شاهدت الكثير من القرى والمنازل القديمة في محافظة أحد رفيدة، وهي تتفاوت في أحجامها ومواد بنائها، ومساحاتها، لكن يغلب عليها الضيق والمحدودية، وبخاصة إذا ما قارنتها بالمنازل والأبنية الحديثة. أيضاً حالة الفقر التي عاشها سكان رفيدة في الماضي تكاد تكون سائدة على عموم سكان تهامة والسراة . وأقول إن دراسة أحوال الناس الاقتصادية في بلاد السرة من الطائف إلى نجران خلال القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م) من الموضوعات الجديدة ويستحق أن يدرس في عدد من البحوث العلمية.

(٣) هذا ما سمعته من بعض الرواة في مدينة أحد رفيدة وفي بعض قرى آل الجحل، وآل الشواط، وجارمة، وخطاب . كما أن هذه الحياة سائدة عند عموم سكان السروات من الطائف إلى نجران .

وإذا ما نظرنا في سكان القرى الصغيرة والأرياف البدائية نجدهم أكثر تآلفاً وتقارباً من أبناء المدن[١] . وتمدن الأسرة اليوم جعلها تحظى ببعض الإيجابيات، وينالها شيء من السلبيات، ونذكر شيئاً من ذلك في النقاط الآتية:

١. تطور أفراد الأسرة مادياً وسكنياً عاد عليها ببعض الفوائد الصحية والعيش في رفاهية ورغد من العيش . كما أثر ذلك في تطور الفرد (ذكراً أو أنثى) وبخاصة في ميادين التعليم، والوظيفة ورفع مستوى الدخل، والفكر والثقافة .

٢. كما تأثرت الأسرة سلباً من حيث الترابط الأسري، وتفقد أوضاع بعضهم البعض، ففي السابق كانوا جميعاً يجلسون سوياً أثناء تناول الطعام، وفي الجلوس أو المسامرة، وفي قضاء حوائجهم الداخلية والخارجية . واليوم تناقصت هذه العادات كثيراً، وانعدمت عند كثير من أفراد الأسر. بل قل الاحترام بين الأفراد مثل: الأشقاء، والأبناء والبنات مع آبائهم وأمهاتهم وأجدادهم وجداتهم، وأصبحنا نسمع روايات قاسية كعقوق الأبناء، والشقاق والقطيعة بين أبناء وبنات الرجل الواحد .

٣. كان لكبير الأسرة قديماً منزلة عظيمة، فهو المصدر الرئيسي لكل أمر يخص أفراد الأسرة، وهو المرجع للجميع. كذلك الأم، والجدة كانت تحظى بمنزلة رفيعة عند أفراد أسرتها . واليوم انعدمت هذه الميزة، وأصبح كبير الأسرة غريباً، وأحياناً يصيبه بعض الجحود والعقوق من أفراد أسرته. وهذه الظاهرة موجودة في مجتمعاتنا التهامية والسروية، لكن سكان القرى والأرياف مازالوا أحسن حالاً من أهل المدينة والحاضرة .

٤. كانت المرأة قديماً أكثر حياءً واحتشاماً، فلا تخرج عن رأي جدها ووالدها وزوجها، وتبذل قصارى جهدها في خدمة بيتها وأولادها، وتشارك أهلها في كثير من أعمالهم الاقتصادية والاجتماعية . واليوم تغيرت المرأة كثيراً فصارت تقضي أوقاتاً كثيرة في متابعة القنوات الفضائية، ومشاهدة ما يصل إلى الأجهزة النقالة، وتخرج إلى الأسواق والأماكن السياحية، وانخرطت أيضاً في أعمال حكومية وأهلية عديدة، وأصبحت تقصر في مسؤولياتها الأولية كتربية الأولاد، وخدمة الزوج والأهل، والقيام على خدمة بيتها[٢] .

---

(١) إن إصدار دراسة مقارنة عن حياة الأسرة في المدن والقرى والأرياف من الموضوعات المهمة والجديرة أن تدرس في عدد من البحوث العلمية. وهذه مهمة أقسام التاريخ والجغرافيا وعلم الاجتماع في جامعاتنا المحلية .

(٢) مازال هناك نساء طيبات يعملن كل ما فيه خير وصلاح لأهلهن وبلادهن . واليوم صدرت قرارات حكومية كثيرة تصب في إخراج المرأة من منزلها واختلاطها بالرجال والعمل في كل المهن . ويجب على كل امرأة مسلمة أن تراقب الله في عملها وحياتها العامة والخاصة، وأن لا تسعى إلى مخالطة الرجال في كثير من الميادين فذلك شر ووبال عليها، وأن تحرص على الحشمة والحجاب الذي يحفظها (بإذن الله تعالى) من عيون الرجال وأذاهم .

ب ـ العمارة :

شاهدت عشرات القرى أثناء تجوالي في بلاد رفيدة في منتصف عام (١٤٣٩هـ/٢٠١٨م)[١] . ومن القرى التي رأيتها ووقفت على كثير منها في عشيرتي ذعي وبني قيس : آل قفيع، وآل بريد، وآل سالم، وآل مفرج، وآل عنقة، وآل كماه، وآل لجهر، وآل وحش، وآل الماشي، والمعزاب، والمراغة، والسوق ،وآل مدير، وبنو تميم، وصفوان، والكامل، ودرب العقيدة، ومداحن، والربة، والخطيرة، والقابل[٢] . وفي بلاد الحاف، وجارمة، وخطاب: آل الدمام، وآل حديلة، وآل حلامي، وآل علي، والقرن، والبطحاء، والحبلة، وصفحان، والعقالة، وقرية الملك فيصل الخيرية، والمربع، وموغط، وهيمان، والمعرس، وآل راقع، وآل رميح، وآل لغر، وآل نادر، والدربين، وعنقرة، والمضيق، وآل الشيخ، وآل غيلان، وعراب آل هلال، والنمصة، وآل الداحس، وآل زهير، وآل عمرة، وآل العضباء، وآل السواد[٣] . وفي أوطان آل الجحل، وآل مستنير، ووقشة : محجر آل الجحل، والمحشوش، وآل بنحي، والصفراء، والذيبة، والمجمع، وآل العزب. والروغ، ومسيحل من آل مستنير في مدينة أحد رفيدة . وآل دريم، وآل متعب، والوطن، وآل مانع، وآل عرفج، والحرف من عشيرة آل مستنير في تندحة ببلاد شهران، ومن قرى وقشة الرفيدية في سراة عبيدة : المصياد، والسرة، والخمرة، والحرقان، والعيص، وآل خزيم، وآل بلحي، والجزعة[٤] .

ومن خلال مشاهداتي للعمارة في هذه القرى والبلدات اتضح لي أمور عديدة، نذكر أهمها في النقاط الآتية:

١ـ معظم العمارة القديمة ومرافقها مازالت ماثلة للعيان، ومعظم المنازل والحصون والقلاع وملحقات البيوت القديمة مبنية بالطين، وأحياناً أسفلها مرصوصة بالحجر والطين . وهناك منازل ومساجد قديمة وبعض الحصون في قرى آل علي، والقرن وقرى أخرى في أعالي السروات، والناحية الغربية للمحافظة وهي مبنية بالحجارة . وجميع القرى القديمة مهجورة، وكثير منها أصابها التلف والخراب، وإذا لم ترمم ويحافظ عليها، فسوف تندثر وتزول في المستقبل القريب[٥] . وهناك بعض

---

(١) تلك الجولة يومي السبت (٢٤/٥/و/١/٦/١٤٣٩هـ الموافق ١٠، ١٧/فبراير/٢٠١٨م) .
(٢) المصدر نفسه .
(٣) المصدر نفسه .
(٤) المصدر نفسه . كما ذهبت إلى بلاد وقشة في سراة عبيدة، وآل مستنير في تندحة يومي الإثنين والثلاثاء (٣، ٤/٦/١٤٣٩هـ الموافق ١٩، ٢٠/٢/٢٠١٨م) .
(٥) من خلال تجوالي في بلاد تهامة والسراة خلال العشرين عاماً الماضية شاهدت قرى قديمة وكثيرة كانت متماسكة في عمارتها إلى درجة ما. واليوم اندثر معظمها، وتحولت إلى خرائب تسكنها الزواحف والطيور وبعض الحيوانات السائبة .

المنـازل أو القصـور القليلـة مازالت مسـكونة مـن بعض الفقـراء، أو العمالـة الوافدة للعمل في المحافظة مثل: الباكسـتانيين، والهنود، واليمنيين، والمصـريين، والسودانيين، والبنجاليين وغيرهم [١].

ونشـاهد في هذه القرى القديمة تقارب وتلاصق منازلها، وضيق طرقاتها وأزقتها، ولا تخلو أي قرية من مسجد صغير ومحدود في مساحته، وقد وقفت على بعض المساجد في قـرى آل علـي، والقـرن، وبعض القـرى في الفرعين، وبلـدة أحد رفيـدة، والواديين فوجدت أن مسـاحتها لا تتجاوز مئة متر مربع، وبعضـها قد تزيد إلى (١٢٠، ١٥٠م٢)، ومعظم تلك المساجد أصبحت مندثرة ومهجورة[٢]. وكل المساجد التي شاهدتها مزودة ببركة ماء، وأماكن للوضوء، ويوجد إلى جانب بعضها آبار يجلب منها الماء إلى المسجد، وجميع تلك المساجد يوجد لها مساحة خارجية تعادل مساحة المسجد الداخلية تستخدم لجلوس المصلين بعد الانتهاء من الصلاة، ويعقد فيها جلسات تشاور أهل القرية في كل ما يتعلق بأمورهم العامة والخاصة[٣].

لا تخلو كل قرية قديمة من بئر، أو عدد من الآبار تسـتخدم لشرب وري المزروعات، وقد وقفت على بعض الآبار في بعض قرى ذعي وبني قيس في مدينة أحد رفيدة، وفي قرى آل علي، والقرن في صـحن تمنية شهران[٤]، وفي بعض قرى الفرعين، وجارمة وخطاب، وجميعها محفورة في الأرض وتتراوح أطوالها من (١٠- إلى ٢٠ و ٣٠م) وبعضـها مطوية بالحجـارة في أجزائها العلويـة من أجل حمايتها من الهدم وسـقوط الأتربة فيها . كما توجد بعض الأحمية التابعة لبعض القرى والعشائر وقد شاهدت أحمية تابعة لآل جحل، وآل علـي، وآل جليحـة، ورأيت بعض الوثائق الخاصـة بتلك الأحمية عنـد بعض أعيان ورجـال تلـك الناحية، وفيها بعض البنود المدونة التي تصـب في حماية هـذه الأمكنة، وأوقات اسـتخدامها والعقوبات التي تطبق علـى من يخرق ما تم الاتفاق عليه حول هذه

(١) الذاهب في أرجاء السروات يلاحظ بعض البيوت في القرى القديمة مسكونة من طبقة الفقراء والعمالات الوافدة أصـحاب الدخل القليل. وأحياناً يسـكنونها بمقابل مادي يدفع لأصـحاب تلك البيوت، ومنهم من يسكنها بالمجان حتى يحافظ على نظافتها وإحيائها .

(٢) حبذا أن نرى أحد طلابنا في قسـم التاريخ بجامعة الملك خالد، في برنامج الدراسـات العليا فيتخذ تاريخ المسـاجد القديمة في بـلاد قحطان خلال القرنـين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م) موضـوعاً لرسـالته في درجة الماجستير أو الدكتوراه . وهو موضوع جديد ويستحق أن يدرس في كتاب أو بحث علمي .

(٣) كان للمسـجد قديمـاً دور عظيم ففيه تقام الصـلوات، وفي فنائه تعقد الاجتماعـات المتعددة والمتنوعة في أهدافها الحضارية لخدمة أهل القرية أو القرى القريبة من المسجد .

(٤) يوجد في صـحن تمنية شـهران عدد من القرى القحطانية مثل: آل علي، والقرن. وقرى شـهرانية أخرى كدار عثمان، وآل ينفع وغيرها وهذه الناحية غنية بمياهها ومزروعاتها، وذات موقع اسـتراتيجي وجديرة إلى أن يصدر عنها دراسة علمية موثقة .

الأراضي المشاعة للقرية أو العشيرة [١] . وتوجد الكثير من المقابر في عموم محافظة أحد رفيدة، وشاهدت في بعض القرى أكثر من مقبرة تتفاوت في مساحاتها، وقد قامت البلدية بتسويرها وحمايتها، كما أن كثير من هذه المقابر تحتوي على غرفة أو غرف صغيرة يحفظ بها الأدوات لحفر القبور وخدمة الموتى ومن يقوم على دفنهم [٢] . وفي أجزاء من منطقة الأصدار بمحافظة أحد رفيدة كهوف صغيرة وكبيرة، وبعض الأبنية الصغيرة التي كانت تستخدم ببعض الرعاة في القرون الماضية، وهي اليوم مهجورة وغير مستخدمة. كما شاهدت طرقاً قديمة وضيقة تربط بين المزارع والقرى والأسواق، وكذلك أسوار حجرية أو طينية تفصل بين المزارع، او الأراضي المتجاورة، والمملوكة لأفراد، وأسر، وعشائر مختلفة [٣] .

٢. بدأت العمارة الحديثة منذ ثمانينيات القرن (١٤هـ/ ٢٠م)، وصارت بعض الأسر تستخدم الحجر، أو الطوب، أو الزنك في بناء بعض المنازل ومرافقها . ثم بدأت العمارة المسلحة (الإسمنت والحديد) منذ أوائل التسعينيات الهجرية، وبدأ الناس يحصلون على قروض عقارية من البنك العقاري، واستمرت التنمية العمرانية حتى وقتنا الحاضر [٤] . والذاهب في أرجاء المحافظة يشاهد قريباً من القرى القديمة قرى وأحياء حديثة تتكون من منازل متعددة الأدوار، ومعظمها تتراوح من طابق واحد إلى ثلاثة طوابق، بالإضافة إلى مرافق أخرى، كالأحواش، ومواقف للسيارات، وأحياناً مستودعات وغرف تستخدم لأغراض متعددة .والمنازل الحديثة لا تقارن مع البيوت الحجرية أو الطينية القديمة، لأنها تشيد حسب مخططات هندسية، على مساحات كبيرة، وتصاميم معمارية يراعي فيها التقسيمات الداخلية الجيدة، والخدمات الضرورية مثل: الحمامات، والكهرباء، وأحياناً المصاعد الكهربائية [٥] .

---

(١) اطلعت على الكثير من الوثائق التاريخية التي تذكر العديد من الأحمية والأمكنة المشاعة للقرى والعشائر في بلدان تهامة والسراة . خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) . وأقول إن تاريخ الأحمية في هذه البلاد يستحق أن يدرس في عدد من البحوث العلمية الموثقة .

(٢) أتجول في بلاد السروات منذ أربعين عاماً، وشاهدت مقابر كثيرة جميعها مدفونة في الأرض، لكنني رأيت في أجزاء من شرق مناطق عسير، والباحة، والطائف مقابر مبنية فوق سطح الأرض، ويرتفع بعضها إلى متر ونصف . وأقول إنه موضوع جديد ويستحق أن يدرس في عدد من البحوث .

(٣) زرت في الثلاثة عقود الماضية عدداً من المحاكم الشرعية في مناطق نجران، وعسير، والباحة، والطائف. كما اطلعت على بعض الصكوك الشرعية عند بعض الأفراد في هذه المناطق ووجدت أنها مليئة بالمواد العلمية التي تعكس تاريخ امتلاك الأراضي الخاصة والعامة، وما يجري حولها من اتفاقات وخصومات أو قضايا بين أبناء الأسرة، أو القرية، أو العشيرة الواحدة . ومثل هذا الموضوع جدير أن يدرس في عدد من الرسائل والبحوث العلمية .

(٤) دور البنك العقاري في التنمية العمرانية في منطقة عسير من الموضوعات الجديدة التي لم تدرس . نامل أن نرى باحثاً جاداً يدرس هذا العنوان في هيئة كتاب أو بحث علمي .

(٥) كل هذه الخدمات لم تكن موجودة في نظام العمارة قديماً، مع أن بعض البيوت والقصور القديمة تتعدد طوابقها إلى ثلاثة وأربعة وخمسة طوابق، لكنها محدودة في مساحتها، ودرجها ،وأبوابها، ونوافذها . ومعظم المنازل في السابق تتكون من دور واحد، وكثير منها لا تزيد عن غرفتين أو ثلاث غرف .

وقد تجولت في مدينة أحد رفيدة الرئيسية، التي أطلق اسمها على جميع المحافظة، وتقدر مساحتها تقريباً بـ (٧×٧) كم٢، ومازالت قراها القديمة معروفة بأسمائها مثل: آل مدير وسط المدينة، وآل بوعوه في الجنوب، وآل سالم وآل ناحي وآل مفرج وآل مستنير في الشمال، وآل بريد في العرب. وكذلك الربة ودرب العقيدة والقابل والحظيرة ومداحن في الناحية الشرقية من المدينة. والمراغة، والمعلاة (الزويراء سابقا) في أطراف المدينة من الغرب. والمضيق وبني تميم وآل قفيع في الجنوب[١] . وفي هذه المنطقة تتركز فيها الكثير من المؤسسات الحكومية، مثل: المحافظة، والشرطة، والدفاع المدني، والمستشفى الحكومي وبعض المراكز الصحية، ومكتب التعليم وعدد من المدارس الحكومية، وكلية العلوم والآداب التابعة لجامعة الملك خالد، ومستشفى القوات المسلحة [٢]، والبلدية، والمحاكم الشرعية، والنيابة العامة، ومركز الهلال الأحمر، وهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وشعبة المرور، والأحوال المدنية، وعدد آخر من البنوك التجارية، والمستوصفات الصحية، والإدارات والجمعيات الحكومية والأهلية [٣] .

وجميع هذا الإدارات في عمائر حديثة حكومية أو أهلية، وتتراوح ارتفاعاتها من طابق إلى خمسة وستة طوابق، وكثير منها تتواجد في مخططات معتمدة من بلدية أحد رفيدة . ومن تلك المخططات : مخططات ابن صمان، والأمير عبدالرحمن، والعزيزية وتقع غرب طريق الملك خالد الذي يخرج من خميس مشيط عبر أحد رفيدة إلى سراة عبيدة ونجران . ويوجد شرق هذا الخط أيضا مخططات آل بريد، وآل لجهر، والنهضة، والنزهة، وشرق بني تميم، وفي الجنوب من مدينة الأحد مخططات الأمير بندر، وآل قفيع، وحافظ، وفي الجهة الشمالية مخطط صفوان[٤] .

وشاهدت في هذه المدينة الحضرية (أحد رفيدة) اكتظاظها بالعمائر المليئة بالسكان من أهل المحافظة، أو من مناطق أخرى في المملكة العربية السعودية أو خارجها، جاءوا للعمل في قطاعات مدنية وعسكرية، حكومية وأهلية . كما توجد الكثير من الأبنية الخدماتية : كالأسواق التجارية الصغيرة والكبيرة، والمحطات البترولية، والمحلات الاقتصادية والمهنية المتنوعة . ولا تخلو أي قرية أو حي من مساجد وجوامع عديدة[٥].

(١) هذا الوسط الحضاري في محافظة أحد رفيدة يستحق أن يدرس في بحث علمي موثق . أرجو أن يقوم أحد أبنائنا في قسم التاريخ جامعة الملك خالد بدراسة هذه الناحية في هيئة رسالة علمية موثقة.

(٢) هذا المستشفى واحد من مستشفيات القوات المسلحة ويوجد في عدد من الأبنية المستأجرة على طريق الملك خالد، ويتكون من خمسة طوابق ويعالج فيه الأمراض المزمنة كالضغط والسكري والربو وغيرها .

(٣) تستحق جميع هذه الإدارات أن تدرس في بحث تاريخي وتنموي منذ ستينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى وقتنا الحاضر .

(٤) قضيت عدة ساعات أتجول في هذه المخططات مع الأستاذ سعد بن دايل يوم السبت (١٤٣٩/٦/١هـ) .

(٥) من الجوامع التي سمعنا عنها ووقفنا عند بعضها : (١) جامع بن صمان. (٢) جامع والدة بن جار الله في قرية آل بريد. (٣) جامع درب العقيدة . (٤) جامع لزمة . (٥) جامع عبيان . (٦) جامع صفوان . (٧) جامع البصيلي. (٧) جامع أحد رفيدة وسط المدينة. (٨) جامع آل قفيع . (٩) جامع بني تميم . (١٠) جامع المراغة. (١١) جامع المعلاة.

كما أن أجزاء المدينة مربوطة بشبكة طرق حديثة وكثير منها مزدوجة . وتتصل المدينة بالعديد من الطرق التي تربط أجزاء المحافظة ببعضها، او تخرج من أرض المحافظة إلى مناطق وبلدان قريبة وبعيدة . ومن الطرق الرئيسية التي تخرج من المدينة إلى غيرها . (١) طريق الملك عبدالله الذي يخرج من أبها مروراً بأحد رفيدة إلى نجران. (٢) طريق الأمير سلطان من أحد رفيدة إلى الواديين والحبلة أو آل جليحة والقرن وآل علي . (٣) طريق الملك خالد من خميس مشيط إلى نجران . (٤) طريق سياحي من الحبلة مروراً بوادي الحويب إلى العقيرة حتى يتصل بطريق الملك عبدالله الدولي . (٥) طريق الصوح من أحد رفيدة إلى الفرعين .(٦) طريق من أحد رفيدة إلى وادي بني قيس .(٧) طريق من شعف جارمة إلى الأحد[١] .

ومن الملاحظات التي شاهدتها في أجزاء المحافظة كالفرعين، وشعف لجوان وجارمة، والواديين، وبعض قرى خطاب الواقعة على الطريق الدولي الذي يخرج من أبها إلى نجران تعدد المساجد والجوامع الموجودة على الطرق الرئيسية وفي وسط القرى وأطرافها، وكذلك الأسواق التجارية الصغيرة والمتوسطة المتناثرة في كل مكان من أرض المحافظة[٢] . وأيضاً بعض الاستراحات وصالات الأفراح المتفاوتة في مساحاتها وأحجامها[٣]، وبعض الملاعب الرياضية المتواضعة . كما لا تخلو مناطق الفرعين، والواديين وشعف جارمة من مؤسسات حكومية وأهلية[٤] .

ج ـ الطعام واللباس :

تعددت الأطعمة والأشربة القديمة في بلاد أحد رفيدة ومعظمها كانت شعبية ومحلية، ومن أهمها: **(١) الخبز:** ويعمل من حبوب الذرة، أو الشعير، أو القمح

---

(١) من المؤكد أننا لم نذكر جميع الطرق التي تربط مدينة أحد رفيدة بغيرها في المحافظة أو بالمناطق المجاورة، لأن شبكة الطرق الموجودة حالياً متعددة الاتجاهات والمسافات، وتتفاوت في أطوالها، وعرضها والخدمات الموجودة عليها . ومن خلال الأيام التي قضيتها في هذه المحافظة لاحظت أن جميع الطرق الداخلية والخارجية في مدينة أحد رفيدة مزودة بجميع الخدمات مثل: محطات البترول، والدكاكين التجارية، وخدمات السيارات كالورش، وأماكن تغيير العجلات والزيوت وصيانة السيارات وتنظيفها، وأيضاً المساجد والمصليات التي يرتادها المسافرون والعابرون لتلك الطرقات .

(٢) لا يوجد في محافظة أحد رفيدة أسواق كبيرة أو مولات عالمية كما نشاهدها في أبها وخميس مشيط . وربما قرب بلاد رفيدة من هذه الحواضر العسيرية جعلت التجار والمستثمرين الكبار لا يغامرون بأموالهم ويفتحون أسواقاً كبيرة في هذا المحافظة التي تعد جزءاً من حاضرة أبها الرئيسية .

(٣) من الصالات التي شاهدتها .(١) الصالة الكبرى في مخطط الأمير عبدالرحمن. (٢) درة الوطن في الربة. (٣) صالة اليمامة بدرب العقيدة. (٤) صالة الفيصلية في قرية آل بوعوه.

(٤) تاريخ العمارة في محافظة أحد رفيدة من الموضوعات المهمة والجديدة وبخاصة إذا أنجزت على هيئة دراسة مقارنة بين القديم والحديث. ونامل أن نرى أحد طلابنا يتولى هذا الموضوع بالبحث العلمي الجاد، ويخرج لنا دراسة علمية موثقة .

(الحنطة)، والأخير أشهرها وأهمها فهو يقدم للضيوف، وتعمله الأسر أيضاً لأفرادها. وطريقة إعداد الخبز يختلف من طريقة لأخرى، فهناك أنواع من الخبز تجهز في التنور المصنوع من الفخار، أو تعد على الصاج الحديدي، وقد تدفن عجينة البر (الحنطة) في الجمر والرماد، ويسمى هذا النوع من الطعام (خبز الملة) . وقد أخبرني بعض رجالات الواديين، والفرعين ،ومدينة الأحد بأن السكان قديماً كانوا يعدون طعامهم من الخبز في بيوتهم، وكانت معظم مؤنتهم لأطعمتهم من مزارعهم[١] .

(٢) **العصيدة، والمعصوب :** والعصيدة غالباً من دقيق الذرة، ويطلق عليها في بعض بلدان السروات (العيش) أو (المشغوثة) أو (اللطف) [٢] . وتعد على مستوى الأسرة، وتقدم أيضاً في المناسبات الاجتماعية الكبيرة، ويضاف إليها السمن والعسل، وأحياناً الحليب واللبن . أما المعصوب، أو المعصوبة، وتسمى أحياناً في بلاد قحطان باسم (العصيد) فتصنع من دقيق الحنطة، وهي أغلظ من طعام العصيدة المصنوعة من الذرة، وتقدم أحياناً إلى جانب العيش (المشغوثة) في حفلات الزواج والأعياد وغيرها[٣] .

(٣) **العريكة، والبثيثة :** يصنع طعام العريكة من عجينة القمح، ويعد في هيئة قرص على الصاج أوالتنور، ثم يلت مع بعضه البعض ويوضع في إناء خشبي أو نحاسي، أو فخاري وإلى جانبه السمن والعسل، أو الحليب أو اللبن . أما البثيثة فيتم إعدادها من دقيق القمح وأحياناً الذرة فتوضع في قدر من المعدن، ويضاف إليها شيء من الماء واللبن والملح وتترك حتى درجة الغليان مع تحريكها بهدوء حتى تنضج، ثم توضع في صحن ومعها شيء من السمن والعسل، أو اللبن .

(٤) **وهناك أطعمة وأشربة أخرى عديدة مثل :** المصبع، واللهيدة، والتلبينة، والسوقية أو السويقة . وهي أغذية لا تخرج مكوناتها عن دقيق الحنطة، أو الذرة، أو الشعير مع الماء واللبن بالإضافة إلى السمن والعسل إذا وجدت . وأطعمة من لحوم

---

(١) وأقول إن ما ذكروه هو الصحيح لأن معظم محافظة أحد رفيدة أراض زراعية، ومن يتجول في أرجاء هذه البلاد من قرية آل علي والقرن إلى الواديين ومدينة الأحد، فالفرعين وأوطان جارمة وشعف لجوان يجدها زراعية غنية بالتربة الصالحة للزراعة. كما أنني اطلعت على بعض الوثائق التي تشتمل على مادة علمية تذكر أسماء الكثير من الأراضي الزراعية، والآبار، والمحاصيل الزراعية التي كانت تزرع وتجبى زكواتها في هذه الأوطان القحطانية .

(٢) توجد المشغوثة، أو اللطف في بلاد السروات الممتدة من شمال مدينة أبها إلى بلاد غامد، ونساء رجال الحجر وبخاصة بني شهر وبني عمرو يتميزن بإعدادها لأسرهم أو في المناسبات الاجتماعية الكبيرة .

(٣) تكاد تكون هذه الأطعمة متشابهة في عموم بلاد تهامة والسراة، إلا أن أسماءها تتفاوت من منطقة لأخرى . ونأمل أن نرى باحثا جادا يدرس تاريخ الطعام والشراب في هذه البلاد خلال القرون الثلاثة الماضية، فهو موضوع جديد يستحق أن يدرس في كتاب أو رسالة علمية .

الضـأن والماعز والأبقار والجمال، وكانت متوافرة في عموم بلاد قحطان، وأيضـاً لحوم الدجاج، والبيض، وبعض الفواكه والخضروات المحلية، مثل: العنب، والفركس، والتفاح البلدي، والطماطم، والخيار، والكوسـة، والباذنجان، والفاصـوليا، واللوبيا (الدجر)، والخس، والبصل، والجزر، والبطاطس.

أمـا الأشـربة القديمة، فالماء الذي يجلب من الآبار المحلية يعد الشـرب الرئيسـي عند عموم سـكان المحافظة، ويحصـلون على أشـربة الحليب، واللبن، والسمن، والمرق مـن منتوجـات حيواناتهم . وكان هناك أشـربة عرفت منذ القـرن (١٣هـ/٢٠م) مثل: مشـروب القهوة، والقشر، وبذور اليانسون (السـنوت) ،والقرفة، والزنجبيل، والحليب المغلي، كما عرف شـرب الشـاي منذ القرن (١٤هـ/٢٠م)، ومشروبات أخرى مستوردة من داخل الجزيرة العربية وخارجها منذ العقود الأولى في القرن الهجري الماضي[١] .

وإذا بحثنـا عـن أنواع الأطعمة والأشـربة التـي عرفتها محافظة أحـد رفيدة منذ تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى وقتنا الحاضر فإننا سوف نواجه العديد من الأشربة والأطعمة الحديثة، وكذلك الكثير من المتغيرات إذا قارنا أعراف وأطعمة وأشربة اليوم مع حياة الناس قديما ونذكر بعضها في النقاط الآتية :

أ- تراجع إعداد وتناول الأطعمة الشعبية القديمة، وأصبح الكثير من الأفراد والأسر في محافظة أحد رفيدة يفضـلون الأطعمة المعلبة أو المسـتوردة أو المطهية خارج البيت، وتوجـد هذه الظاهرة بنسـبة كبيرة في مدينة أحد رفيـدة والواديين. أما القرى البعيدة مثل شـعف جارمة ولجـوان، وبعض النواحي عند آل جليحة، وعشـيرة خطاب وغيرهم فمازال أهلها أفضـل حالاً من سـكان الأحد وأبها وخميس مشيط فترى نساءهم مازلن يقدمن العديد من الأكلات والأطعمة الشعبية التي عرفها الآباء والأجداد[٢] .

ب - تزايـد الأسـواق والمـواد الغذائيـة الحديثـة، وظهـور عشـرات المطاعـم[٣]، و(البوفيهـات)، وقـدوم أجناس عديدة مـن داخل البـلاد وخارجها إلى بـلاد رفيدة ومنطقة عسـير[٤]، وأيضـا انتشـار وسـائل التواصـل والإعلام والتقنية، وارتفاع نسبة سـفر أهل المحافظة، كل هذا أثر على طعام الناس وشـرابهم، وأصبحوا أمام كم هائل من أطعمة وأشـربة جعلتهم في حيرة مما يأكلون ويشـربون . كما أن نسـاء هذه البلاد

(١) تاريـخ الطعـام والشـراب في بـلاد قحطان أو منطقة عسـير خـلال القرنـين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م) من الموضوعات الجديدة التي لم تدرس ويستحق أن يدرس في هيئة كتاب أو رسالة علمية .

(٢) هذا ما سمعته وشاهدته أثناء تجوالي في بلادهم في شهري جمادى الأولى والآخرة من عام (١٤٣٩هـ/٢٠١٨م) .

(٣) شاهدت العديد من المطاعم الصغيرة والكبيرة على الشوارع الرئيسية في مدينة أحد رفيدة وفي الواديين في يومي السبت (٥/٢٤ و١/٦/١٤٣٩هـ) .

(٤) دخلـت أكثر من مطعم أو (بوفيه) في حاضـرة أحد رفيدة وجميع الأيـدي العاملة فيها من أجناس عربية وغير عربية جاءوا للعمل في هذه البلاد .

وبعض الرجال، وبخاصة الشباب، صاروا يفضلون الحصول على الأطعمة الجاهزة في المطاعم[١]، وأحياناً المعلبة والمعروضة في أسواق المواد الغذائية[٢].

ج- وفي هذا المحور مازال هناك عناصر جديدة لم ندرسها، كالأدوات المستخدمة قديماً وحديثاً في جلب الطعام والشراب وإعداده [٣]، وكذلك الأيدي العاملة التي كانت تقوم على طهي الطعام والشراب في الماضي والحاضر، وأيضاً الأعراف والعادات التي استخدمها الأوائل في إعداد أطعمتهم، وما هي العادات والتقاليد الحديثة التي يمارسها الناس اليوم؟ وكذلك التأثيرات الصحية التي نتجت عن تعدد وتنوع الأطعمة والأشربة في وقتنا الحاضر؟ وما هي الوسائل الصحيحة التي يجب على الفرد والأسرة اتباعها حتى يتناولوا أشربة وأطعمة نافعة وصحية؟

واللباس والزينة من الصفحات الحضارية في محافظة أحد رفيدة. فالرجال خلال العقود الثمانية الأولى من القرن (١٤هـ/٢٠م) يرتدون الثياب البيضاء والملونة الواسعة، ويغطون رؤوسهم بالعمامة المعروفة عندهم باسم (الغترة) أو (الدسمال)، ومنذ تسعينيات القرن الهجري الماضي صار بعض أعيانهم وشيوخهم يلبسون العقال على (الغترة). وفيهم من لبس العباءة، أو البشت، أو بعض الأكوات الطويلة والقصيرة، وهناك بعض الأحذية الجلدية والبلاستيكية التي استخدمها بعض الرجال والنساء في الأوطان العربية[٤]. وأيضاً النساء عرفن الألبسة الملونة من الثياب، والأردية، وأغطية الرأس، وبعض الأقبية الجلدية وبخاصة عند النساء الكبيرات. ولم تكن الملابس الداخلية متوافرة بكثرة عند النساء والرجال. والوضع المادي له تأثير كبير على حياة الناس في زينتهم ولباسهم. فالأسر المقتدرة مادياً تستطيع توفير أنواع عديدة من الألبسة لأفرادها بعكس الأسر الفقيرة الذي لا يملك الفرد منهم إلا ثوباً واحداً طوال العام، وغالباً تكون ملابسهم أسمالاً بالية ورديئة في نوعيتها [٥]. ونجد بعض الوثائق

---

(١) هذه الظاهرة منتشرة في جميع أنحاء المملكة العربية السعودية، لكنها بنسبة أكبر في المدن والحواضر الرئيسية.

(٢) حبذا أن نرى باحثاً جاداً يدرس تاريخ الطعام والشراب قديماً وحديثاً في منطقة عسير، في هيئة دراسة مقارنة، مع توضيح سلبيات وإيجابيات كل عصر في هذا الميدان الحضاري.

(٣) مازلنا نشاهد الكثير من هذه الأدوات القديمة معروضة في بعض المتاحف المحلية في بلاد قحطان ومدينتي أبها وخميس مشيط. حبذا أن نرى باحثاً جاداً فيخرج لنا معجماً يسجل فيه أسماء الأدوات التراثية القديمة التي عرفها الأوائل في حياتهم الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية.

(٤) هذا ما سمعته من بعض الرواة في قرى آل علي، ودرب العقيدة، وآل نادر، وآل بريد، وآل مدير يومي السبت (٥/٢٤ و ١٤٣٩/٦/١هـ).

(٥) هذا ما سمعته من بعض الرواة في مدينة الأحد وفي الفرعين وشعف جارمة يوم السبت (١٤٣٩/٦/١هـ). وهذه الظاهرة تكاد تكون عند عموم سكان الجزيرة العربية خلال القرون الماضية حتى سبعينيات وثمانينيات القرن (١٤هـ/٢٠م).

تذكر أسعار بعض الألبسة في سوقي الأحد في رفيدة والثلاثاء في أبها خلال الأربعينيات والخمسينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م)، وكانت أسعارها محدودة بالقروش، وقليلة في الأنواع فلا تتجاوز أثواباً رخيصة من قماش (الدوت) أو النايلون، وبعضها يصنع محلياً في مدن منطقة عسير الرئيسية، أو يستورد من القنفذة أو مدن الحجاز الكبرى[١].

ومن أدوات الزينة عند الرجال لبس الحزام من الجلد أو القماش، وأحياناً يكون هناك خنجر صغير ضمن ذلك الحزام، وكانت العصا او الفأس لا تفارق الرجل الكبير أثناء تنقلاته عند مزارعه او ممارسته بعض المهن الأخرى، أو ذهابه في رحلات قصيرة في محيط المحافظة أو السفر إلى المدن القريبة مثل: مدينتي أبها وخميس مشيط. والرجال أيضاً يتزينون بلبس السلاح في الأعياد والمناسبات الاجتماعية الأخرى، ومن أسلحتهم لبس الخناجر المتنوعة في أحجامها وأشكالها، والسيوف عند الوجهاء والأعيان، وحمل بعض البنادق والمسدسات في الاجتماعات الكبيرة، كالزواجات، واستقبال الضيوف وغيرها. ويلبس الرجال الألبسة الجديدة في الأعياد، وأيام الزواجات، ويضعون في جيوبهم وعلى رؤوسهم بعض النباتات العطرية كالريحان والشيح وغيرها، ومنهم من يلبس الخاتم، ويحنون لحاهم وشعورهم[٢].

ومن ألبسة النساء الثياب الملونة المتفاوتة في الجودة حسب القدرة المادية. فالنساء في بيوت الأغنياء والتجار يلبسن أنواعاً عديدة من الألبسة. كما أن النساء يفضلن لبس الحلي من الذهب والفضة. وتعددت أنواع الحلي من الخواتم إلى الأقراط إلى العصائب والأحزمة. ويحدثني بعض الرواة في أحد رفيدة فيقولون: " كانت أغلب الحلي الموجودة في بلاد رفيدة من الفضة، وهناك بعض الخواتم، والمسك، والقلائد التي تستورد من اليمن أو مدن الحجاز أو بعض المدن الرئيسية في السروات وتهامة، وهناك أدوات زينة أخرى من النحاس والخرز والظفار تباع في بعض الأسواق الكبيرة في منطقة عسير. ولم يكن كل النساء يستطعن امتلاك حلي من هذا النوع. أما الذهب فوجوده عند الناس قليل، وبعض نساء الشيوخ والأغنياء يمتلكن شيئاً من ذلك. وفي مناسبات الزواج تستعير النساء من بعضهن الحلي كالأحزمة والعصائب والقلائد، وأحياناً بعض الثياب والألبسة وقت الزواج،

(١) تاريخ الصلات التجارية بين منطقة عسير وغيرها من مناطق الجزيرة العربية خلال القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م) من الموضوعات الجديدة والجديرة بالبحث في كتاب أو رسالة علمية موثقة.

(٢) هذا ما سمعه الباحث أثناء تجواله في بلاد رفيدة في شهري جمادى الأولى والآخرة عام (١٤٣٩هـ). وتاريخ اللباس والزينة في منطقة عسير خلال القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م) من الموضوعات الجديدة الجديرة بالدراسة في عدد من البحوث العلمية.

وعند الانتهاء من المناسبة المعينة تعاد هذه الأدوات إلى أصحابها . ولم يكن عند الناس (رجالاً ونساءً) الكثير من أدوات الزينة كما نشاهد اليوم"[١] .

والمتجول اليوم في عموم بلاد قحطان أو منطقة عسير أو أوطان تهامة والسراة ويزور بعض المتاحف المحلية، أو يسمع من بعض الروايات وكبار السن فإنه سوف يرى ويشاهد ويسمع الكثير من أسماء الألبسة وأدوات الزينة المعروفة عند الأوائل، ومعظمها اليوم انقرض ولا نرى إلا نماذج قليلة في بعض الأسواق المحلية، أو في المتاحف التاريخية. ونأمل من الجامعات المحلية، وجمعيات الثقافة والفنون، ومن الباحثين والمؤرخين وغيرهم من أصحاب الهمم العالية الذين يحبون الخير لأهلهم وبلادهم أن يبذلوا قصارى جهودهم لدراسة وحفظ هذا الموروث الحضاري المهم، من أجل أن يطلع عليه أجيال اليوم والمستقبل، وأيضاً تحفظ صفحات مشرقة من تاريخ هذه البلاد العربية الأصلية[٢].

وفي العقود المتأخرة فاض الخير في أيدي الناس، وتطورت حياتهم الاجتماعية والاقتصادية، وتنوعت ألبستهم وأدوات زينتهم حتى صار جميع سكان المحافظة يمتلكون أنواعاً عديدة من الألبسة الداخلية والخارجية . وجلست في مجالس عديدة من بلاد رفيدة، وحضرت بعض مناسباتهم الاجتماعية في المنازل الخاصة، وبعض صالات الأفراح في مدينة الأحد، والفرعين، والواديين، ورأيت الرجال الكبار، والشباب، وصغار السن، يلبسون أثواباً، وعمائم وأحذية متنوعة في أشكالها، وأنواعها، وجودتها، وموديلاتها، وفيهم من يلبس المشالح، والأكوات المستوردة من خارج البلاد . وشاهدت في بعض التجمعات أجناساً عربية وأجنبية يلبسون البنطال (الجينز) والأقمصة، ورؤوسهم حاسرة . كما رأيت في بعض الأمكنة من محافظة الأحد سعوديين يلبسون أقمصة وبناطيل مثلهم مثل العناصر الوافدة من خارج البلاد . وأخبرتني بعض القريبات الساكنات في مدينة الأحد عن مبالغة النساء في ألبستهن وبخاصة في الحفلات واللقاءات الاجتماعية . أما أدوات الزينة عند الرجال والشباب فهي متعددة مثل: العطور والروائح الزكية، وأجهزة النقال (الجوالات)، والنظارات، والسيارات . وبعضهم يضعون الخواتم في الأيادي، والأقلام في الجيوب، وزرت بعض الزملاء في

(١) هذا ما سمعته من عدد من الرواة في بعض مجالس أحد رفيدة يوم السبت (١٤٣٩/٦/١هـ) وأقول إن تاريخ اللباس والزينة في منطقة عسير خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) من الموضوعات الجديدة، ومازالت مادته متوفرة عند الرواة المعاصرين وفي بعض الوثائق المحلية. نأمل أن نرى باحثاً يدرس هذا الموضوع في بحث علمي .

(٢) هذه النداء أكرره كثيراً على صفحات مؤلفاتي، وعن جوانب عملية وحضارية متعددة، ومهمة في هذه الجزيرة العربية. وآمل ان تجد هذه النداءات من يتبناها ويترجمها إلى واقع، لأن في ذلك كسباً حضارياً مهماً لديننا وبلادنا وأهلنا. (والله من وراء القصد) .

مدينة الأحد، ووقشة، والواديين، والفرعين ودخلت في مجالسهم ومكتباتهم فشاهدت بعض البنادق والأسلحة البيضاء المعلقة على جدران مجالسهم وصالات بيوتهم، كما رأيت بعض أولادهم وبناتهم الصغار يرتدون العديد من الألبسة الجميلة والمتنوعة في خاماتها وجودتها[١].

وذهبت إلى بعض المدارس، والمستشفيات، والدكاكين التجارية، والورش الصناعية، وبعض الجمعيات الخيرية، وصليت في عدد من المساجد والجوامع الصغيرة والكبيرة وشاهدت أناساً متوسطي الحال في ألبستهم وزينتهم ومعظمهم من العمالة الوافدة وأجناس عربية وأجنبية، كما شاهدت بعض السعوديين صغاراً وكباراً وألبستهم أقل من المتوسط، لكنهم أفضل حالاً مما كان عليه الأوائل حتى نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م)[٢]. وأثناء سيري في المحافظة زرت بعض الدكاكين أو المحلات التجارية في الفرعين، ومدينة الأحد والطريق الرئيسي الذي يربطها مع مدينة خميس مشيط، وأيضاً الطريق الدولي الذي يخرج منها نحو سراة عبيدة ونجران، وشاهدت مئات الأسواق الكبيرة والصغيرة وفيها آلاف الأنواع من الألبسة المستوردة المتنوعة[٣]، ومئات المحلات المتخصصة في بيع أدوات الزينة للنساء، وأخرى للرجال. كما يوجد هناك أسواق كبيرة تبيع ألبسة النساء والأطفال، وأخرى مخصصة للأحذية.

وفي عموم محافظة الأحد يوجد خياطون متخصصون في خياطة ألبسة الرجال المدنية والعسكرية. وجميع العاملين في هذه المحلات النسائية والرجالية من العمالة الوافدة، ومعظمهم من الباكستانيين والهند والبنجلاديش[٤].

---

(١) معظم السكان والطبقات السابق ذكرهم من السعوديين وبخاصة الموظفين والأساتذة ومن يمتلك بعض المال ومقتدر اقتصادياً واجتماعياً. وأقول إن دراسة طبقات المجتمع في منطقة عسير مع التركيز على أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية من الموضوعات الجديدة ويستحق أن يدرس في عدد من البحوث العلمية.

(٢) حبذا أن نرى باحثاً جاداً يعكف على دراسة تاريخية مقارنة في الحياة الاجتماعية في بلاد قحطان، أو منطقة عسير، أو بلاد السراة خلال القرون الثلاثة الماضية المتأخرة.

(٣) هناك أسواق ومولات عالمية على الطريق الرابط بين مدينتي الأحد وخميس مشيط، ويوجد عشرات الأسواق الصغيرة والمتوسطة في مدينة الأحد وعلى الطرق الرئيسية التي تخرج منها إلى أجزاء عديدة في منطقة عسير.

(٤) في الآونة الأخيرة اتجهت الدولة إلى سعودة كثير من الأسواق، ومنحت المرأة فرصة للعمل في الأسواق، ومازال هناك عمالة وافدة كثيرة تعمل في معظم المهن والتجارات الصغيرة والكبيرة. وقريباً سوف نرى معظم العاملين في الأسواق من الجنسيات السعودية (ذكوراً وإناثاً)، وهذا توجه جيد، لكن يجب نشر الوعي الديني والثقافي بين الرجال والنساء، وحث المرأة على المحافظة على حجابها، وعدم الانخراط في مخالطة الرجال بشكل كبير.

د - الفنون والألعاب :

من فنون المحافظة الرفيدية العرضة، والمدقال، والزحفة والزامل للرجال . وهذه الألعاب شعبية عند كثير من عشائر تهامة والسراة، وتمارس في احتفالات الزواج، واستقبال الضيوف . وكانت العرضة قديماً تؤدى قبل بداية الحرب، أو الغزوات العسكرية [١] . ويتزامن مع ممارسة هذه الألعاب حمل السلاح، وضرب الطبول، ووجود شعراء شعبيين يلقون القصائد والمقطوعات الشعرية التي يرددها المشاركون في هذه الفنون [٢] . ويخبرني بعض الرواة عن ممارسة بعض الألعاب الشعبية في مناسبات الختان التي كانت تستمر لعدة أيام، وربما لعدة أسابيع في تهامة قحطان[٣] .

وللنساء فنون خاصة بهن مثل اللعب والرقص والخطوة تؤدى بشكل جماعي، ويستخدم فيها ضرب الطبول أو التنك وسمعت من بعض كبار السن في عدد من قرى محافظة أحد رفيدة أن هذه الفنون كانت تمارس في القرى والأرياف أثناء مواسم الأعياد والزواج والختان . وعرفت هذه الألعاب ومارسها سكان تهامة والسراة خلال القرون الماضية المتأخرة . وقد شاهدت بعضها خلال الثمانينيات والتسعينيات في مواطن عديدة بمحافظة النماص، وفي مدينتي أبها وخميس مشيط [٤] .

ومن الألعاب الرياضية عند الرجال والشباب السباحة في بعض الآبار أو الغدران، وركوب الخيل أو الحمير واستخدامها في السباق[٥]، وأحياناً السباق على الأقدام بين الشباب، أو القفز من فوق الحواجز، أو من مكان مرتفع. وهناك رياضات

---

(١) العرضة من الفنون الشعبية التي عرفها ومارسها العرب منذ العصر الجاهلي وخلال العصور الإسلامية المختلفة . وهذا اللون الشعبي جدير بالبحث والدراسة في عدد من البحوث العلمية .

(٢) حبذا أن نرى باحثاً جاداً يدرس تاريخ الشعراء الشعبيين الذين عاشوا في بلاد قحطان خلال القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م) ويسجل بعض أشعارهم وقصائدهم، وكثير منها ضاع وأصبحت من التاريخ المفقود.

(٣) ظهرت بعض الكتب خلال الخمسين عاماً الماضية عن تاريخ منطقة عسير وأشارت إلى عادات الزواج والختان ولكنها لم تفصل كثيراً عن الفنون الشعبية التي تمارس في تلك المناسبات . وأقول إن جامعاتنا المحلية عليها مسؤولية كبيرة نحو فلكلور جنوب البلاد السعودية فالواجب جمعه ودراسته، وللأسف أن هذه المؤسسات التعليمية لا يوجد فيها أقسام أكاديمية تهتم بهذه الميدان المعرفي، الذي يعكس صوراً من تاريخ الناس في القرون الماضية .

(٤) حبذا أن نرى باحثاً جاداً يدرس تاريخ الفنون الشعبية في منطقة عسير خلال القرن (١٤هـ/٢٠م)، وهو موضوع يستحق أن يكون عنواناً لرسالة ماجستير أو دكتوراه .

(٥) كانت بعض الأسر الغنية أو الوجيهة مثل الأعيان وشيوخ القبائل يمتلكون عدداً من الخيول التي تستخدم في الحرب أو بعض الرياضات . أما الحمير فكانت موجودة بأعداد كثيرة إلى بدايات هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، وعند تزايد السيارات في البلاد أهملت وترك بعضها يهيم على وجهه فتعرضت للهلاك وأكلتها السباع، أو دعستها السيارات أثناء عبورها الطرقات المعبدة .

المصـارعة أو المطارحة أو المشاقرة عند الرجال أو الشباب وصغار السن . واستخدمت الكـرة المصـنوعة مـن القماش، ثم عرفـت كرة البلاسـتيك منـذ ثمانينيـات القرن (١٤هـ/٢٠م) . وكان هنـاك بعض الألعـاب الترفيهية عند النسـاء والبنات، وتمارس داخـل البيوت، وأحياناً عند المـزارع أو في الأودية والجبال أثناء رعـي الأغنام. وأدوات هـذه الألعاب من الطبيعة مثل: الحجارة، وأعواد الأشـجار وغيرها. ويجب أن تتوفر مع بعضها خفة الحركة، والتفكير، وحسن التصرف[١].

ومـع تطور حياة السـكان، واختلاطهم بغيرهم من الشـعوب داخل منطقة عسـير وخارجهـا، ودخول التلفاز (الرائي)، وفتح المدارس، وقـراءة الكتب والجرائد وغيرها من وسائل المعرفة ظهر العديد من الفنون كالموسيقى، والأغاني . والألحان المستوردة من المدن الكبرى، التي وفدت إلى هذه البلاد من شـعوب خارج الجزيرة العربية، وصـارت تمارس في الزواجات، والتجمعات الترفيهية . وتزايدت في وقتنا الحاضـر، وحازت على إعجاب كثير من الشـباب والفتيات، الذين يرغبون مشـاهدتها وسماعها . ونلاحظ أن الفنون الشـعبية القديمة تراجعت، وصارت تمارس على نطاق ضيق في بعض المناسبات الاجتماعية المحدودة، وكبار السـن من الرجال هم الذين مازالوا يحبذونها، ويفضـلون مشاهدتها وممارستها[٢].

وتلاشـت الألعاب الرياضـية القديمة، وصـار هناك ألعاب حديثـة، مثل لعبة كرة القدم، واليد ،والطائرة، وألعاب القوى كالجري على الأقدام، وحمل الأثقال . بالإضافة إلى ممارسة السباحة، وجميع المدارس الحديثة وفرع الجامعة في محافظة الأحد تشجع طلابها على الألعاب الرياضية الحديثة، وتحدد لهم أوقاتاً محددة في جداولها اليومية، وتخصـص ميزانيـات معلومة للنشـاط الرياضـي .كمـا يوجد في مدينـة الأحد، وعلى الطريق الرئيسي الذي يربط بين مدينتي الأحد وخميس مشيط بعض الأندية الرياضية التجارية التي يرتادها الرجال والشـباب، ويمارسـون فيها العديد من الألعاب . ويوجد في محافظـة أحد رفيدة نادي جُرش الرياضـي[٣]. الذي تشـرف عليه المؤسسـة العامة

(١) ومن تلك الألعاب : المقطار، أو المزاقرة وهي لعبة شعبية يشترك فيها اثنان، وموادها الرئيسية الحجارة. وهنـاك لعبـة الغميـم، وتتكون من عدد مـن اللاعبين، وتغطى عينـا واحد منهم، ثم يقـوم بالبحث عن الآخرين . وألعاب أخرى عديدة مارسناها وعرفناها في العقود الأخيرة من القرن (١٤هـ/٢٠م) . وهذه الفنون تستحق أن تجمع مادتها وتدون وتنشر حتى يطلع عليها أجيال الحاضر والمستقبل.

(٢) واكب عصـرنا الحديث والمعاصـر الكثير من المتغيرات والصـراعات بين القديم والحديث، والغلبة في النهاية لكل جديد وبخاصـة الثقافات المسـتوردة التي تجد من يدعمها ويروج لها، بهدف القضاء على القيم والأعراف والتقاليد الأصيلة، التي تحث على العفة والرجولة والشهامة والمروءة والنخوة وطهارة القلب والعقل والجسد .

(٣) تأسـس نادي جرش عام (١٣٧٩هـ/١٩٥٩م)، ومازال يمارس نشـاطاته حتى اليوم . وتاريخ الرياضـة الحديثة في محافظة أحد رفيدة أو بلاد قحطان من الموضوعات الجديدة ويستحق أن يُدرس في كتاب أو رسالة علمية .

للرياضة، ويسعى هذا النادي على تشجيع شباب المحافظة على الالتحاق بالنشاطات الرياضية فيه، وتعقد إدارة النادي مباريات رسمية ودورية مع نوادٍ أخرى في المملكة العربية السعودية .

هـ- اللهجة وبعض المفردات اللغوية :

تعد بلاد السروات من أفضل نواحي الجزيرة بياناً وفصاحة، وربما صعوبة تضاريسها، وعزلتها خلال القرون القديمة، وعصور الإسلام المبكرة والوسيطة جعلت سكانها وعشائرها يحافظون على لغتهم الواضحة البليغة . وتقع بلاد قحطان أو محافظة أحد رفيدة ضمن تلك الأوطان التي ذكرها الهمداني في القرن (٤هـ/١٠م)، وأكد على بيان أهلها وفصاحتهم، فقال: " ثم الفصاحة من العرض في وادعة فجنب، فيام فزبيد فبني الحارث، فما اتصل ببلد شاكر من نجران إلى أرض يام، فأرض سنحان فأرض نهد وبني أسامة، فعنز فخثعم فهلال، فعامر بن ربيعة، فسراة الحجر، فدوس فغامد فشكر ففهم فثقيف فبجيلة فبني علي"[١]. وتؤكد إحدى الدراسات الحديثة على ما أشار إليه الهمداني، وفصاحة أهل السراة، فتقول: " أفصح اللهجات وأقربها إلى الفصحى، فيما نعتقد، هي اللهجات اليمانية الواقعة ما بين جنوبي الحجاز وشمالي اليمن، وكثيراً ما سمعنا أهل هذه البلاد يلفظون الكلمات من مخارجها الصحيحة، ويتكلمون بما هو أقرب إلى الفصيح من سواه، وبعض البداة من أهل هذه المنطقة يخرجون جملاً يظن منها الإنسان أنهم تمرنوا في المدارس على إخراجها على ذلك النحو، بينما أن الحقيقة هي بخلاف ذلك ؛ لأنهم يتكلمون بالسليقة وعلى البديهة فيجيء كلامهم فصيحاً معرباً لا غبار عليه، ويستعملون ألفاظاً نظنها في الأقطار العربية المتمدنة مهملة ومتروكة، ولكنهم هم يستعملونها على البداهة"[٢]. ومحافظة أحد رفيدة جزء من هذه البلدان السروية الممتدة من نجران إلى الطائف، ويتميز أهلها بفصاحة الكلام وبيانه. وهناك ألفاظ ومصطلحات لغوية ينطقها سكان بلاد رفيدة، وكثير منها ذات أصول عربية صريحة، ومنها: (١) أهريته: أرسلته.(٢) أحذف به أو أنطل به : أرمه . (٣) أقديت أو أقدى : تقال لمن كان تصرفه صحيحاً في أمر ما . (٤) أوط عليه : انزل إلينا . (٥) إيش قومك : ماذا بك . (٦) الزمه : أقبض عليه . (٧) القف: تناول أو خذ. (٨) إيش ألهاك : ما سبب تأخرك . (٩) إيش: ماذا . (١٠) أين غدى؟: أين ذهب؟. (١١) إش تعبا: ماذا تعمل.(١٢)أمس يانمي: أي اهجد أو أرقد يا ولد .(١٣) إيش معك فيها: ماذا تقصد من كلامك أو فعلك. (١٤) أفلح : قم أو اذهب . (١٥) أصه : أسكت. (١٦) أكفيك:

---

(١) الحسن بن أحمد الهمداني، صفة جزيرة العرب . تحقيق محمد علي الأكوع (مطبوعات دار اليمامة بالرياض، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م) ص٢٧٩.

(٢) للمزيد انظر فؤاد حمزة، قلب جزيرة العرب، ص ١٠٧ .

أي أقـوم بالعمل بدلاً عنك. (١٧) أنشـهد :أي يوافق على ما سـمع مـن كلام المتحدث. (١٨) اسـتر ما واجهـت : ويرد على القائل (مـا واجهنا إلا الطيـب والعلوم الجيدة) . (١٩) بدا: تأكيد النفي (لا) . (٢٠) بدني : أي قدمني أو ابدأ بي أو من عندي . (٢١) البسـطة : الأرض المسـتوية الخالية. (٢٢) بهم: صغار الغنم . (٢٣) بصرك : تصرف كما تشـاء حسب ما تراه صـالحاً. (٢٤) البلاد: المزارع أو الأراضـي الزراعية . (٢٥) بياتـي : سـوف يأتي . (٢٦) تعال دونك : أقرب إلينـا أو عندنا. (٢٧) تلهمت: تذكرت . (٢٨) تيك: ضمير الإشارة (تلك) .(٢٩) تفتر: تتعب . (٣٠) جغمة : ما يملأ الفم من الماء أو غيره من السـوائل الصالحة للشـرب .(٣١) جبا: مصطلح محلي يقوله الواحد عندما يقدم شـيئاً لأحد، ويرد الآخر قائلاً (عدوك إي هبا) أي عدوك خاسـر. (٣٢) جعلني ما أبكيك: يقولها الشخص إذا قدم له هدية أو خدمة معينة من صاحبه أو رجل آخر قريب منه . (٣٣) وجع : أي مريض، وأحياناً يقولها الشخص لآخر من باب الدعاء عليه بالمرض.(٣٤) جلبة: الحجر الذي يكون بحجم الكف. (٣٥) جود: أمسك . (٣٦) جلب: شرع أو قام بالعمل .(٣٧)حَرمة : بفتح الحاء :أي الميتة من الغنم . وتقال للرجل غير الكفؤ . (٣٨) حرشـاء : أي خشـنة غير ناعمة . (٣٩) الحزة وجمعها الحزات : أي الوقـت أو الأوقات. (٤٠) الحذية: أي طلب المشـاركة في العطية أو المنحة ممن حصـل عليهـا. (٤١) حيـد: أي حجر.(٤٢) خاشـره: خالطه وشـاركه . (٤٣) خبارة : جحور الفئران والزواحف وغيرها. (٤٤) خذت موتك :أي أموت بدلاً عنك، وتقال عندما يقدم شـخص خدمة لآخـر. (٤٥) خرقة : قطعة القماش البالية . (٤٦) خرّاط :أي كذاب. (٤٧) دقل: أقبل، وتقال للإنسان عندما يأتي مقبلاً ويدخل إلى مكان ما، وأحياناً يكون قبله من ينتظره. (٤٨) دهل: حفل النسـاء في الأعراس، وتطلق أيضـاً على الهدية التي تعطـى للعروس من النسـاء .(٤٩) دنق: أي نزل رأسـك وجذعـك الأعلى قليلاً. (٥٠) دوح: قرص الخبـز .(٥١) ذروق: خواف وجبان . (٥٢) ذلحـين: الآن. (٥٣)راح: عاد من عمله في المسـاء . (٥٤) ريع لي شـوي: انتظرني قليلاً . (٥٥) رحنا صوب آل فلان. ذهبنا إلى آل فلان. (٥٦) زنّا : بتشديد النون، خلصنا وانتهينا . (٥٧) ساخر أو اندفر وراك : ابتعد عنا. (٥٨) سر: امش. (٥٩) سرح: ذهب لعمله في الصباح . (٦٠) شاقني : أسـعدني أو أعجبني.(٦١) شـهلا : مفردة تقال بين الرجال ويرد عليها بجملة (عطه مصـارير بهلا) . وتقال أيضـاً عند تقـديم فنجان القهوة ويرد المتلقـي قائلاً : (كفيت البلا). (٦٢) صـلاة العتيم، أو العتمة : صـلاة العشاء، والمقصود بالعتمة هنا: الظلام . (٦٣) صوبي: تجاهي. (٦٤) ضريب : البرد الشديد، ويطلق هذا المصطلح أيضاً على الندى أو الصـقيع الذي ينزل على الأرض في الصـباح الباكر . (٦٥) ضـوح: إضـاءة . (٦٦) عبيلة : أو العبيلة: مرق اللحم مخلوط مع اللبن والماء. (٦٧) عدا به: اعتدى عليه . (٦٨) عـادك تقطب :أمازلت تتذكر؟ (٦٩) عرض من عندي: مر من أمامي . (٧٠)

عس: المس . (٧١) عضرس : شوك صغير على هيئة مثلث. (٧٢) عوال: الأبناء أو الأولاد . (٧٣) عومة، أو العومة: ويقصد بها التجوال بدون هدف . (٧٤) العشاء القابلة : وجبة العشاء غداً . (٧٥) غسق: الظلام. (٧٦) فسل: ضعيف أو بخيل. (٧٧) الفتخة: الخاتم أوحلقات أصابع اليد . (٧٨) فضية أوالفضية: الحفر الصغيرة التي تحفر بعد نزول المطر بهدف استخراج ماء للشرب . (٧٩) في ساقتي : اتبعني أو الحقني . (٨٠) فيّه: أو الفيّه : بتشديد الياء: الظل . (٨١) قبيل : قبل قليل . (٨٢) قد هي إياها : نفس الشيء. (٨٣) قر: توقف أو اركب . (٨٤) قرص: خبز البر أو الشعير أو الذرة . (٨٥) قشر: قطعة أرض صالحة للزراعة أو السكن . (٨٦) القصبة: برج المراقبة. (٨٧) قطب : أمسك أو اقبض. (٨٨) قوموا قام حظكم: تقال عندما يهم الرجل بتقليط ضيوفه، ويردون عليه (وحظك) ، وأحياناً يقول المضيف (تمو الله يحييكم على واجب فلان) ويذكر اسمه . (٨٩) كان: كفى، وتقال للشخص الذي يكثر الكلام في موضوع ما ويرغب الحاضرين أن يتوقف ويسكت. (٩٠) كترة : نافذة صغيرة. (٩١) كنك إياي : مثلي وأصلها (كأنك إياي). (٩٢) لا تروح على غر: لا تذهب دون أن تخبرني. (٩٣) لا تخطراني : تقال للذي يتخطى من فوق شخص ما وهو جالس أو ممدد على الأرض. (٩٤)لا خلا ولا عدم : أي جعلني ما أفقد جمايلك، وتقال لمن أسدى معروفاً أو جميلاً . (٩٥) لهج وجمعها لهوج : وهي نوافذ المنزل أو القصر. (٩٦) ميدي: أي يعنيني أو يقصدني. (٩٧) ما يبغي: لا يريد. (٩٨) ما يعناك: لا يعنيك. (٩٩) مقروع: توقف ولا تتدخل في الأمر الفلاني، ويسميه . (١٠٠) ما احتلت: لم أستطع . (١٠١) مثل أمي فيك: هي عبارة تهديد ووعيد. (١٠٢) مرخط: ساكت وهاجد. (١٠٣) منطلة: قطعة قماش يصهر بها الجدار. (١٠٤) مالي شفافية: تقال عندما يطلب من الشخص أن يأكل أو يشرب شيء ما ،(١٠٥) معثور: شخص رديء . (١٠٦) مفلدغ : سمين . (١٠٧) منفقع أو منبطر: متكبر. (١٠٨) ماجور: إذا سأل شخصاً عن حالة آخر فتقال هذه المفردة، وقد يرد عليه بجملة (الله يجيرك) . (١٠٩) محجر، أو المحجر : الأرض المحمية للقرية، أو العشيرة . (١١٠) مسربل: أي مجرد من الحزام ولبس السلاح . (١١١) مطلق : كريم وشهم . (١١٢) نكع : انقضى أو انقطع. (١١٣) نما : ولد (ذكراً أو أنثى). (١١٤) هاك: خذ كذا وكذا، ويرد على القائل أحياناً (كفيت الهلاك). (١١٥) هب شحم : يقصد بذلك اسكت فأنت المستفيد. (١١٦) هب لي : أعطني . (١١٧) هتف، أو الهتف، أو الهتاف : الدعاء على الفرد أو الجماعة بالأذى. (١١٨) هنّهم بتشديد النون: يقولها الشخص إذا دخل على أناس يأكلون الطعام، ويرددون عليه (وأنت منهم). (١١٩) هنياً، أو هنية : هناء . (١٢٠) هقوتي: توقعاتي. (١٢١) والله إلا فيه ولا فيه : عبارة تهديد، والحلف أن يأخذ حقه من خصمه . (١٢٢) وخر وراءك أو وسع : ابتعد عن طريقي، أو وسع لي في المكان . (١٢٣)وش سنعك: ماذا دهاك، ويقصد بذلك (لماذا

فعلت كذا وكذا؟) . (١٢٤) وش معي فيك : تقال عندما يريد الشخص خدمة ضرورية من قريبه، أو صاحبه، ويقصد بذلك إذا لم تخدمني الآن، فما الفائدة منك. (١٢٥) ولا زّنه: بتشديد الزاي : أي ولا شيء . (١٢٦) وقر أو الوقر: الماء الموجود في الحفر الصخرية في الجبال والأودية. (١٢٧) وع: كلمة تقال للاشمئزاز من شيء ما. (١٢٨) ويع : مريض. (١٢٩) يا الله الخيرة: الدعاء والتمني أن تكون العواقب سليمة . (١٣٠) يا ويلي ويلاه : تقال إذا حلت مصيبة أو أمر جلل. (١٣١) يا نعي وجهي أو خشمي: تقال من باب الملاطفة والإشفاق على من حل به كرب أو مصيبة. (١٣٢) يا لهفي : يا شوقي وحسرتي. (١٣٣) يتصوخ : ينصت أو يسترق السمع . (١٣٤) يحندر: يطالع بإمعان . (١٣٥) يبور : فاسد وغير نافع. (١٣٦) يشطا : يزهر وينبت.(١٣٧) يعلوي : يبني أو يزيد بناء فوق آخر. (١٣٨) يملص : يزلق أو يهرب . (١٣٩) يامسوى: دعوة بالتوفيق في أي أمر من الأمور. (١٤٠) ينبجس: ينفجر. (١٤١) يهرف: يتكلم بكلام غير صحيح. (١٤٢) يوغظ: يرمش بالعين .

هذه أمثلة قليلة من المفردات والمصطلحات اللغوية الدارجة في محافظة أحد رفيدة وفي أجزاء أخرى عديدة من بلاد قحطان والسروات عموماً. وإذا درست أصول الكثير منها فهي عربية فصيحة، ويفهمها ويدرك معانيها كبار السن أفضل من الصغار . وفي وقتنا الحاضر اختلط السكان بأجناس عديدة عربية وعجمية، وصار هناك مصطلحات ومفردات حديثة ودخيلة على المجتمعات السروية. كما أن وسائل التواصل والإعلام الإقليمية والعالمية أثرت سلباً وإيجاباً في لغات وثقافات الناس، ونأمل أن نرى باحثين جادين في أقسام التاريخ، والأدب، واللغة والنحو والصرف، وعلم الاجتماع فيدرسون حياة السكان الثقافية واللغوية وما جرى عليها من تبدلات خلال السبعين عاماً الماضية. وهذا الميدان مهم ويجب بحثه من قبل الأساتذة والأقسام العلمية المتخصصة .

وـ عادات وتقاليد أخرى :

كانت محافظة أحد رفيدة فيما مضى قرى متباعدة، تتكون كل قرية من بضعة منازل تتفاوت في طوابقها ما بين الطابق الواحد إلى الأربعة، وجميع مواد بنائها محلية مثل: اللبن، والصخور المنحوتة، والأخشاب الموجودة في أشجار المنطقة، مثل شجر الدوم، والسدر، أو السنط، أو الغرب، التي تستخدم في صناعة الأبواب والنوافذ والأخشاب، وتوضع في السقف . وطرق القرية ضيقة وترابية، وبالقرب منها المزارع والآبار . والأسرة في السابق ممتدة . بمعنى أن الأب والابن والحفيد يعيشون في منزل واحد، ويتكون المنزل من أربعة طوابق للمقتدرين ماديا، فالطابق الأول للمواشي، والطابق الثاني غرف توجد بها رفوف تستخدم لحفظ الحبوب، وبها فتحات صغيرة للتهوية تسمى: (المضرب)، وتعرف باسم (المخوال أو المخزن) ويتكون الطابق الثالث

مـن مجالـس، والمجلس الأول كبـير، وفيه عدد من الشـبابيك، أحدهـا بحجم أكبر في مقدمـة المجلس أو في آخره، ويسـمى (المطرف) [١]، وتكون الأسـقف مغطاة بألواح من الخشـب المنقوش بأشـكال تراثية، فيها ثلاث قطع خشـبية كبيرة تسمى (البترة)، وفي جوانب المجلس منطقة مرتفعة تسمى (الدابوب).

والمقتدرون يفرشون وسط المجلس بالزل المصنوع من الصوف، ويوضع على الدابوب بسـط أو بعض المعطبات المصـنوعة من القطن، ونوع من المراكي المحسـكة، وتستخدم الأتاريك في الإضـاءة، وتعلق في السقف بكلاليب في البترة، وفي المجلس الثاني المعروف بالمقلط [٢]، وتوضـع في ركن منه أدوات القهوة والدلال والأباريق، وفي وسطه الصلل[٣]. الذي تشـعل فيه النـار، وفي العادة يكون مفروشـاً بحنبل، وبعض البسـط الأخرى على أطرافه، وهذا المقلط مكان أفراد الأسـرة لتناول المشـروبات الساخنة، ويجتمعون حول الصـلل للتدفئة في فصل الشتاء، والغرفة الثالثة مخصصـة لتقديم الطعام للضيوف، وتفرش ببعض الأثاث ويوجد فيها نافذتان أو ثلاث، تسـمى (العشـارية)، أما الطابق الرابع فهو مخصـص لغرف النوم، وفي جوانبه قطعتان من الأخشـاب المربوطة في وتد في أعلى السقف من الطرفين، وتستخدم لرفع الفرش والبطانيات التي تفرش في العادة للضـيوف، وفيها مكان مرتفع في أحد طرفيها يسمى (الدابوب) [٤]. ويوضع عليه فرش باقي الأسـرة، ويوجد أحياناً مخزن صـغير يسمى (السـهوة) [٥]، وفيه فتحات صغيرة للتهوية، وتسمى تلك الغرفة بـ(النوبة)، والغرفة الأخرى على نفس النمط، ولكن ليس فيها مخزن صـغير، والمطبخ مسـقوف بالجراع، وفي وسـطه جزء مرتفع يسـمى (المرفاع) [٦]. وإلى جانبه غرفة صـغيرة مرتفعة لحفظ الأخشـاب الزائدة، وتسمى أيضاً (السهوة). ومـن الأدوات الموجـودة في المطبخ التنور، و(التنـورة) [٧]. وهناك مكان مبني من اللبن يوضـع فيه الحطب المستخدم في عملية الطهي ويسـمى (المحطابة)، وفي بعض المطابخ

(١) المطرف: مصنوع من الخشب وفيه بعض الحفر للتزيين، كما أنهم يزينونه ببعض القطع النحاسية.
(٢) المقلط: يكون لتجهيز القهوة وأحياناً يقدم فيه الطعام والشراب.
(٣) الصلل: يؤسس في أحد الغرف ويستخدم لإشعال النار وطهي بعض أنواع الطعام والشراب.
(٤) الدابوب: يشبه السرير حاليا.
(٥) السهوة: مخزن صغير، وبابه من الخشب ويحفظ به الزبد والتمر والسمن.
(٦) المرفاع: لحفظ الأواني وباقي أدوات المطيخ، ويتم الصعود له بسلم خشبي.
(٧) التنورة: تكون مفتوحة من الأمام، وتستخدم خاصة لخبز الشعير أو الذرة.

اثنان من الفروغ[١]. ومكان مخصص لزير الماء[٢].

وتتوزع الأعمال بين أفراد الأسرة الواحدة، فالجد يستقبل الضيوف، ويشرف على أوضاع الأسرة، ويبت في الأمور، سواءً أكانت في إصلاح ذات البين أو غيرها، وهو الذي يملك الميزانية من حيث الإنفاق، ويعمل الأبناء في المزارع ومهن أخرى عديدة، أما الأحفاد فدورهم رعي الأغنام، وتقوم المرأة والبنت على تنظيف المنزل، والقيام بإعداد الوجبات والولائم للضيوف، كما تقوم البنت مقام والدتها في حالة غيابها عن البيت، وجميع أفراد الأسرة في حالة ترابط وتلاحم فيما بينهم .

يقول بعض الرواة " كان أفراد الأسرة حتى نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م) يستيقظون في أذان الفجر صغاراً وكباراً، فيصلون صلاة الفجر، ويتناولون وجبة الإفطار المكونة من مشروب القهوة، وتناول حبات التمر، وخبز الخمير الطازج مع حليب الأبقار، ثم ينصرف الجميع إلى أعمالهم اليومية فالطالب إلى مدرسته، والرجل إلى مزرعته، ومن يعمل في قطاع وظيفي يذهب إلى عمله، وتقوم المرأة بشؤون بيتها من أعمال النظافة، وإعداد وجبة الغذاء، والاهتمام بتغذية الحيوانات الموجودة لديهم، وبعد أن تنتهي من أعمالها تتجه إلى المطبخ لإعداد الموقد، ووضع الحطب فيه، وإشعاله لإعداد الطعام، وتختلف المواقد من منزل إلى آخر، فمنهم من يطبخ على الحطب، ومنهم من لديه القدرة على شراء (الكولة) أو الدافور الذي يستخدم للطبخ"[٣] .

ومن عادات أفراد الأسرة قديماً الاجتماع على الوجبات والطعام، وغالباً تكون وجبة العشاء بعد صلاة المغرب، ويهتمون بتنظيم الوقت، وحسن الجوار، فهم على قلب واحد في

---

(١) الفروغ : فتحتان مبنيتان من ثلاث جهات، يوضع عليها مركب لحمل القدور، وتستخدم في الطهي . هذا ما سمعته من بعض الباحثين والرواة في قرى عديدة من محافظة أحد رفيدة وما تم الإشارة إليه يعد نموذجاً من حياة بعض السكان والبيوت في بلاد رفيدة، مع أن هناك منازل صغيرة ومتواضعة في مساحتها وغرفها، وهناك عادات وأعرافاً متعددة في حياة الناس السكنية والاجتماعية .

(٢) هذه صور اجتماعية من حياة سكان محافظة أحد رفيدة، في حاضرتها مدينة الأحد، وفي القرى والأرياف. أما حياة البادية فهم مختلفون في مساكنهم وأدوات طعامهم وشرابهم، لأن حياتهم تعتمد على التنقل والترحال وراء مواشيهم . وأقول إن التاريخ الاجتماعي خلال القرون الماضية المتأخرة في منطقة عسير، أو أي منطقة أو قبيلة او عشيرة في بلاد تهامة والسراة جدير بالبحث والدراسة، ونأمل أن نرى بحوثاً علمية جيدة، تصدر في هذا الباب الحضاري المهم .

(٣) هذه العادات والصور الاجتماعية عشناها وعاصرناها في قرى محافظة النماص خلال الثمانينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م) . ومنذ نهاية القرن الهجري الماضي بدأت حياة الناس تتطور في بناء المنازل، وشراء الأثاث والملابس، بل بدأت عادات الناس وأعرافهم تتحول فهجروا المنازل القديمة، واستبدلوا وسائل النقل البدائية بالسيارات، وتحسنت أوضاعهم الاقتصادية، وخفت وتيرة التعاون والتراحم فيما بينهم، وزادت حدة القطيعة والتنافر بين الأقارب وأبناء الأسرة أو القرية أو القبيلة الواحدة . ودراسة حياة الناس قديماً وفي وقتنا الحاضر من الموضوعات التي تستحق أن تدرس في عدد من البحوث العلمية .

جميع تعاملاتهم اليومية[١] . والأسـرة المقتدرة التي تملك الكثير من الماشية أو المزروعات والبساتين، تهدي سكان القرية من طعامها، ففي نهاية الأسبوع - خاصة يوم الجمعة - تقوم المـرأة بإذابـة الزبدة التي جمعتها طوال أيام الأسـبوع، وتسـعى إلى توزيع جزء منها على سـكان القرية، وتـترك جزءاً لأهل بيتهـا يتناولونه كوجبة إفطار، ويسـمى هذا الزبد بعد إعداده بـ (الرضـيفة)، كما يوزع اللبن مع قطع الزبدة على سـكان الحي أو القرية الذين لا يملكـون ماشـية، وفي أوقات الحصـاد يتعاونون معاً في عملية الحصـاد، ونقل الحبوب، وعملية الدويس والبذور، والحرث، ويؤدون كل هذه الأعمال بروح من التعاون والمحبة، ومن يملك بساتين أو مزارع كبيرة يقوم بتوزيع الفاكهة على من لا يملك شيئاً من هذه الأطعمة .

ويرتبـط يـوم الأحد في بلـدة أحد رفيدة بسـوقهم الشـعبي الذي يجتمـع فيه أهل القـرى المجاورة من محافظة الأحـد وغيرها، ويتبادلون فيه الأحاديث، ويشـترون منه احتياجات منازلهم الأسبوعية من التمر، والزبيب، واللحم، والحبوب، والسكر، وأدوات القهوة، وكانوا يذهبون إلى السوق مشياً على الأقدام، أو على الدواب كالحمير، والقليل منهـم يذهبـون في سـياراتهم خلال العقـود الأخيرة مـن القرن (١٤هـ/٢٠م)، وبعد عودة المتسـوقين إلى منازلهم، يتفقدون بعضـهم، فمن غاب منهم من حضـور السـوق قامـوا بدعوته بعد عودته إلى منزله ليتناول معهم القهوة والتمر، ويسـألونه عن سـبب غيابه[٢]، كما يدعونه هو وأسرته إلى تناول طعام العشاء معهم، ومن عادتهم بعد انتهاء موسـم الحصاد أن يمارس الرجال بعض الألعاب الشـعبية، وأحياناً يجتمعون في مكان يخصصـونه لتبادل الأحاديث والذكريات فيما بينهم ويسمى (البرزة)، والبعض منهم يجلس في الوادي، أما النسـاء فيتبادلن الزيارات في وقت العصـر، ومن عادات الزواج قديماً البسـاطة وعدم التكلف والبذخ، والتعاون، فجميع أهل القرية يساعدون من لديه مناسبة فيزودونه بالحبوب والتمر والعسل، ومنهم من يعير أدوات طبخ الولائم، والنساء يسـاعدن في إعداد الطعام، ويذهب رجال القرية أو العشـيرة مع المتزوج ووالده وأقاربه إلى منزل أهل العروس، ليشاركوهم في فرحتهم، ويتناولون وجبة (البداة)[٣]. وقرية أهل العروس يستقبلون ضيوف العريس وأهله، ثم يوزعونهم في مجموعات، وكل فريق يذهب مـع واحـد من أهل القرية، وتسـمى (فرقا)، ويتناولون وجبة العشـاء عنـد أهل العروس، وتقام بعض الطقوس والرقصـات الشـعبية، وكانت المهور بسـيطة وميسـورة، وتجهيزات

(١) هذه الحياة اختلفت اليوم، فلم نعد نرى معظم الأسر تجتمع على وجباتها، وخفت نسبة التقارب والتراحم والتعاون بين جميع أفراد المجتمع.

(٢) تاريخ الأسـواق الأسـبوعية والحياة الاقتصـادية في بلاد قحطان من الموضـوعات الجديدة، ويستحق أن يدرس في عدد من البحوث العلمية.

(٣) البداءة : وجبة تقدم بعد صلاة العصر، ويقدم فيها العريك والسمن والتمر مع القهوة .

الملابس والحلي محدودة، ويوجد في كل قرية امرأة كبيرة (حضاية) [١]، تحمل مع الأسر الفقيرة القمح، والسمن، والتمر، وما تحتاجه النفساء وقت الولادة وهذه المرأة مسؤولة عن الأطفال الذين يعانون من مرض يسمى (أبو عظيم)، فتقوم على رعايتهم، وعند قدوم مولود تعمل له مناسبة تسمى (الحفاد)، وهي العقيقة، وتقوم نساء القرية بخدمة المرأة في وقت نفاسها، فيعددن لها وجبات الطعام، ويهتمون بخدمة أهل بيتها حتى تنتهي فترة نفاسها، وتعود إلى ممارسة حياتها اليومية بعد فترة قصيرة من النفاس.

ومن عادات سكان بلاد رفيدة قديماً تجهيز المؤن من الحبوب وتنظيفها مما يوجد بها من بذور النباتات الأخرى، أو الصخور الصغيرة، ومن ثم طحنها، وشراء مستلزمات القهوة والتمور، وتنظيف المنازل، وتبادل التبريكات في المواسم والأعياد، ومن عادات رمضان وجبة الإفطار، فيبدؤون بتناول التمر مع القهوة والماء، ثم يذهب الرجال والأبناء إلى المسجد لأداء صلاة المغرب جماعة مع كافة سكان القرية، وبعد العودة من الصلاة يضعون إفطارهم بالكامل، ويتكون من الخبز والشوربة أو المرق، وأحياناً يعدون السمبوسة، وعند أذان العشاء يذهبون لأداء صلاة العشاء والتراويح، وكان في كل قرية من يحفظ جزءاً من القرآن، ويتفقون فيما بينهم على اجتماعات دورية، ومن ضمن ما يقدمونه فيها الشاي، والقهوة، والنعناع، والفاكهة المحلية مثل: الرمان، والتين، والسفرجل والمشمش، والبعض يقدم وجبة من خبز التنور مع الرضيف، أو العريك أو السمن، ووجبة السحور عند بعض الأسر اللبن والخبز والتمر، وكان هناك من يعمل كبسة اللحم، ولكنهم قلة، ويقضون وقت النهار في أداء أعمالهم سواءً كانت في الرعي أو الزراعة، ويجتمع رجال القرية في مكان يسمى (الوزرة) [٢]، قريباً من المسجد، يتبادلون فيه القصص والأحاديث الاجتماعية ،وأحياناً يشرح لهم إمام المسجد فضل شهر رمضان وأحكام صيامه، وكان بعض كبار القرية يملكون المكينة الكهربائية وجميع سكان أهل القرية يشتركون في دفع رسومها ؛ لكي تصل إليهم الكهرباء، ويقومون بتشغيلها من الساعة السادسة وحتى العاشرة والنصف ليلاً، والذي يمتلك تلفازاً يجتمع عنده أهل القرية لمشاهدة البرامج الإخبارية، وأغلب المنازل فيها أجهزة المذياع، وكان عندهم وقت محدد للنوم والاستيقاظ، والعشر الأواخر من شهر رمضان يحيونها بالصلاة وقراءة القرآن [٣]، وتحرص النساء على تزيين منازلهن بتلوينها ببعض المواد المحلية، ويستخدمن في ذلك البرسيم وغيره، ويقمن بتنظيف الزل والبسط وتنظيف الدلال المستخدمة للقهوة استعداداً لعيد الفطر، ومن أهم أعمال أرباب الأسر إخراج زكاة الفطر من الحبوب كالقمح والذرة، وأول أيام العيد يخرج الرجال لصلاة العيد،

(١) الحضاية: امرأة كبيرة و لديها الخبرة في شؤون التوليد.
(٢) الوزرة: مكان مرتفع مبني من اللبن والحجر.
(٣) هذا ما سمعه الباحث من بعض الباحثين والرواة في مدينة أحد رفيدة وبعض قرى الواديين والفرعين.

ثم يقومون بزيارة جميع منازل القرية، وتناول شيء بسيط من الإفطار في كل منزل، ويلبسون الثياب البيضاء والشماغ، ويحتزمون ببعض الأحزمة الجلدية المزينة بقطع معدنية صغيرة، أما زيارات النساء فتكون بعد صلاة العصر، ويكن متزينات بنقوش الحناء وتلبس النساء الكبيرات الثياب العسيرية من القطيف الأسود المطرز باللون الأصفر، ويسمى غطاء الرأس بالمريشة، وهي مزينة بعدة ألوان، أما البنات الصغيرات فيلبسن أقمشة عادية، ويضعن على رؤوسهن مناديل صفراء[١] .

وأما عشر ذي الحجة فيصوم البعض من أول يوم في العشر وحتى يوم عرفة، والبعض الآخر يكتفي بصيام يوم التروية وعرفة، وفي العادة يشترك الرجال في الأضحية بذبح بقرة أو جمل وذلك لعدم قدرتهم على شراء الذبائح، وبعد تأدية الصلاة وتناول وجبة الإفطار يأخذون الأضحية إلى شجرة كبيرة بعيدا عن المنازل، ويشتركون في ذبحها وسلخها وتوزيعها، ويطهو كل بيت وجبة غذاء أو عشاء، وتقوم النساء بتمليح الباقي، وهي الطريقة التي يتم بها حفظ اللحوم قبل وجود الثلاجات الكهربائية . وفي العقود الأخيرة اختلفت طريقة السكن وتنوعت الأطعمة والأشربة، وظهرت عادات أخرى عن طريق العمالة الوافدة، فأدخلوا أعرافهم الاجتماعية، وضعف الترابط والتواصل فيما بين الجيران، وشيدت منازل وأحياء كبيرة، وشوارع واسعة، ولم يعد الناس اليوم يزورون بعضهم بعضاً، وأصبحوا خليطاً من مناطق متعددة وكل له عاداته وتقاليده، وصارت وسائل التواصل بالمكالمة الهاتفية أو الرسائل الإليكترونية، واقتصرت الاجتماعات في شهر رمضان على العائلة فقط، وفي مناسبات قليلة جدا كالعزاء، وحتى الأضحية والعقيقة أصبحت تعطى أثمانها للجمعية الخيرية، وتوزع على الفقراء، ومن المظاهر الحالية التفاخر والبذخ والإسراف في مناسبات الزواج، والمباهاة في بناء المنازل، وشراء الأثاث وضعف التراحم والترابط بين عامة الناس[٢] .

---

(١) كانت الفتيات الصغيرات (الأبكار) يلبسن مناديل صفراء على الرأس حتى يعرف أنهن غير متزوجات، ومن ثم يتقدم لهن الرجال بهدف الزواج . وقديماً نادراً ما يصل عمر البنت عشرين عاماً إلا وقد انتقلت من حياة العزوبية إلى الزواج . بعكس اليوم عندما أصبحت النساء جالسات في البيوت ولا يُعرفن، ثم انخراطهن في ميادين الوظيفة مما زاد نسبة العنوسة حتى صار هناك كثير من البيوت فيها نساء كثيرات وصلت أعمارهن الأربعين والخمسين عاماً ولم يتزوجن .

(٢) ما شاهدناه في محافظة رفيدة موجود في عموم مناطق تهامة والسراة . ودراسة تاريخ وحضارة هذه البلاد منذ منتصف القرن (١٤هـ / ٢٠م) حتى وقتنا الحاضر جدير بالبحث والدراسات في عشرات البحوث . ونأمل من جامعاتنا السعودية المحلية أن تؤسس مراكز بحوث علمية تقوم على دراسة أحوال هذه الأوطان في شتى المجالات وبخاصة تاريخ التنمية الذي عاشته هذه البلاد منذ خمسين عاماً (١٣٩٠-١٤٤٠هـ/١٩٧٠-٢٠١٨م) .

وهناك أعراف وعادات أخرى مارسها ومازال بعضها معروفاً عند سكان محافظة أحد رفيدة، ونذكر شيئاً منها في السطور الآتية :

١. اطلعت على بعض الوثائق المحلية في عشائر بني قيس، وذعي، والحاف، وخطاب ووجدت فيها عدداً من البنود التي تصب في مصلحة سير الحياة بين أفراد هذه العشائر وقراها . ومن النقاط اللافتة للنظر أن وجهاء وأعيان القرية أو العشيرة الواحدة يكتبون ويتفقون على بعض العقوبات التي تطبق على من يعتدي بيده أو لسانه على آخر من نفس العشيرة أو القرية التي أعدت هذه الوثيقة ووقعت عليها، وتلك العقوبات عند بعض العشائر أو القرى تشمل جميع الأفراد الراشدين (ذكوراً وإناثاً) . وهناك بنود أخرى تدور حول المهن وتسهيل أمور الزواج، وإعانة المحتاج، واستقبال الضيف والإحسان إليه، وإعانة المحتاج، وحماية الطرق من اللصوص . وفي بعض النواحي من محافظة أحد رفيدة أسواق أسبوعية، فيدون حولها بعض العقود والوثائق المهمة التي يوقع عليها الشيخ والأعيان والوجهاء الذين يقع السوق في أرضهم، والهدف من ذلك حماية السوق، وعدم نشر الفوضى فيه، والوقوف في وجه من يصدر منه أي عمل سلبي تجاه مرتادي السوق . وهناك وثائق تحتوي على نقاط جيدة حول حماية الأحمية وعدم الاعتداء على البيئة (جبالاً وأودية) بقطع أشجارها الخضراء أو إيذاء وقتل بعض الطيور والحيوانات البرية في تلك الأحمية أو المناطق القبلية العامة. كما اشتملت اتفاقيات أخرى على نقاط جميلة، مثل: وجوب مساعدة من يحفر بئراً، أو يبني بيتاً، أو يحصد مزرعته، وغيرها من النقاط الإيجابية التي تخدم ميدان التعاون والتكافل والتراحم [١] .

٢. سمعت وقرأت وشاهدت بعض الخصال الحميدة عند سكان قبائل محافظة رفيدة مثل الكرم، فهذه صفة جميلة وكانت عند الآباء والأجداد أفضل من الأبناء المعاصرين[٢]. ومصطلح الترحيب عندهم شيء رئيسي، فعندما يرتادهم الضيف تسمع الصغار والكبار يرددون كلمة (أرحب) للفرد الواحد و(أرحبوا) للجماعة . وهذه

(١) من خلال تجوالي في بلدان تهامة والسراة خلال الأربعين عاماً الماضية استطعت أن أجمع آلاف الوثائق والاتفاقات والعقود الاجتماعية التي تحتوي على بنود عرفية تخدم حياة سكان القرى والعشائر في هذه البلاد . وفي هذه الوثائق الكثير من الإشارات الجيدة التي توفر الأمن والاستقرار ورفع الظلم والتعاون والتكاتف بين أهل البلاد الذين كتبوها ووقعوا عليها . ونأمل أن نرى باحثين جادين يعكفون على دراسة مثل هذا الموضوع والاستفادة من هذه الوثائق التي توثق الكثير من الحقائق الحضارية التي عاشها أسلافنا في هذه الأوطان العربية السعودية الجنوبية .

(٢) كان الأوائل أكثر كرماً وتضحية وطلاقة نفس ووجهٍ رغم ضيق ذات اليد، ومحدودية الدخل . أما اليوم فقد فاض الخير عند الناس وصار البعض يطلق عليه (كريما) لما يقوم به من مباهاة ومفاخرة في الولائم والتبذير في إهدار الأطعمة والأشربة . والكرم لا يقتصر على ذبح الذبائح وإنما هو أوسع من ذلك، ويشمل الشيم والقيم الرفيعة من حيث الابتسامة والبشاشة والتضحية ولطف المعشر وحسن الاستقبال وغيرها من الصفات الحميدة .

عـادة موجودةٍ عند سـكان السـروات لكنها تزيد وترتفع نسـبتها عنـد قبائل قحطان . وعندهم أيضا إعطاء الوجه أو ردية الشأن لمن يستجير به ويلجأ بهم بسبب كارثة حلت بالمستجير، وخاف على نفسه نتيجة ما فعل[١] .

٣ـ أخـبرني بعض الرواة في عشائر من رفيدة قحطان عادات أخرى قديمة ومازالت معروفة عندهم حتى اليوم مثل: الرفدة : وهي مسـاعدة المحتاج أو من حل به مصيبة اقتصـادية أو اجتماعية فإن جماعته وعشـيرته يسـاعدونه ويقفون إلى جانبه . وعادة إقامة وليمة لمن يسكن بيتاً جديداً، أو من حل به مرض أو مصيبة ثم عافاه الله مما حل به فإنه يولم لأهله وقومه فرحا بالسـلامة مما أصابه . وشاهدت في مجالس الرفيديين احترام الصغير للكبير، وبر الأبناء بالآباء[٢] .

٤ ـ الناظـر في حيـاة النـاس اليـوم في محافظة أحـد رفيدة سـيلاحظ الكثير من العادات والأعراف القديمة والحديثة في شتى مناحي الحياة الاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية، والسـياحية، والفردية والجماعية . وأهل البلاد أنفسـهم مازالوا يمارسـون الكثير من عادات آبائهم وأجدادهم، وفي الوقت نفسه دخل عليهم عادات دخيلة نتيجة التلاقـي والاختلاط مع أجناس أخرى، ومشـاهدات وسـماع الكثير مـن الأعراف التي تعرض في جميع وسـائل التواصل والإعلام والثقافة . بل يوجد في هذه البلاد الكثير من الأجناس العربية والأجنبية وعندها رصـيد من الأعـراف والتقاليد التي جلبوها معهم من بلادهم، أو تعلموه أثناء اختلاطهم بغيرهم من العناصر البشرية الأخرى[٣] .

---

(١) هناك عادات وأعراف أخرى عديدة مثل: الصلح أو ما يعرف بـ (الحق)، وكيف يؤخذ ويعطى . وقد سمعت عند بعض أعيان رفيدة عبارة (رفيدة الحكام)، وأخبرني بعضهم أن ذلك يعني قوة حجة رفيدة، ولديهم الخـبرة والحكمـة والدراية، على حل المشـاكل المعقدة سـواءً كانت بين قراهم وعشـائرهم أو مع القبائل الأخرى المجاورة، ولا أدري مدى صحة هذا القول، وأرجو أن نرى أحد أبناء هذه البلاد فيدرس الأعراف والقيم التي تميزت بها قبائل محافظة رفيدة عبر عصور التاريخ .

(٢) هذا ما سـمعته أو شـاهدته في مجالس بالواديين، والفرعين ومدينة أحد رفيدة . وأخبرني أحد الرواة في قرية آل علي أنه كان في الماضي يأتيهم بعض الرجال والنساء من قرى وعشائر أخرى من أجل العمل معهم أوقات الزراعة والحصاد، ثم الحصول على بعض الحبوب نتيجة ما قدموه من جهود بدنية، وذكر أنه يطلق عليهم اسـم (الكسـابة)، وهذه الظاهرة شاهدتها في قرى بلاد بني شهر خلال الثمانينيات والتسعينيات مـن القرن (١٤هـ/٢٠م) . وأقول إن كثـير من الأعراف والعادات التي عاشـها الآبـاء والأجداد اختفت وتلاشت، وهناك الكثير من العادات بين أفراد الأسرة الواحدة أو الأسر في القرية . وعادات بين القبائل والعشـائر المتجاورة والمتباعدة . وكل هذه الأعراف تسـتحق ان تجمع وتدرس قبل أن يموت من مارسها أو عاصرها . وهي صور حضارية جيدة جديرة بالدارسة والتوثيق.

(٣) حبذا أن نرى أحد طلابنا في جامعة الملك خالد، وبخاصـة من الدارسـين في الدراسات العليا في أقسام التاريخ، أو علم الاجتماع، أو التربية أو غيرها فيدرس الحياة الاجتماعية في محافظة أحد رفيدة أو منطقة عسـير خلال القرنين الماضيين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م)، وهو موضوع يستحق أن يبحث في كتاب أو رسالة علمية .

٥- صفحات من التاريخ الاقتصادي :

أ- الجمع والالتقاط، والصيد، والرعي:

كان الناس سابقاً يجمعون الحطب من الجبال والأدوية والأحمية القريبة، ويستخدمونها في التدفئة وطهي الطعام ، وكان هناك أفراد قليلون من البادية يتاجرون في بيع الحطب في الأسواق الأسبوعية[١] . ووجد قديماً وحديثاً من يجمع المساويك من الجبال والأرياف ويبيعها عند المساجد وقريباً من بعض التجمعات السكانية . وهناك أفراد صغار وكبار يلتقطون بعض الثمار والفواكه الجبلية مثل : التين الشوكي، (البرشومي) ، والتين الجبلي، والنبق، وبعض ثمار أشجار الطلح، وبعض النساء يجمعن أوراق البرسيم، وتطبخ وتؤكل مع الخبز وغيره من الأطعمة[٢] . ومهنة الالتقاط والجمع اليوم أصبحت شبه نادرة، لتوفر الخيرات عند عموم الناس[٣] .

مارس سكان رفيدة الصيد، وساعدهم في ذلك تنوع تضاريس بلادهم، وكان هناك الكثير من الصيود، مثل: الحمام، والقهابا، والأرانب، والوبران، والغزلان، وأنواع كثيرة من الطيور يتم اصطيادها بالبنادق النارية مثل: الشوزن، والهطفا، والسكتون، والمقمع، والفتيل وغيرها . ورأيت أنواعاً من هذه البنادق عند بعض الأسر القحطانية في الفرعين، وسراة عبيدة، والواديين، ومدينة أحد رفيدة . ومارس أهل البلاد بعض الحيل التي يصطادون بها الطيور أو الأرانب والغزلان في أوكارها أو أعشاشها[٤] .

وكان الصيادون قديماً يمارسون مهنة الصيد للاقتيات به. وعندما فاض الخير على الناس صار بعض الصيادين، وهم قليلون، يمارسون الصيد للتسلية فقط . كما وجد في محافظة الأحد حيوانات مفترسة كالذئاب، والضباع، والنمور، والثعالب، والقرود والثعابين والحيات التي تؤذي الناس في أنفسهم وحيواناتهم ومزارعهم،

---

(١) شاهدت في الثمانينيات والتسعينيات في بلاد الحجر وأبها وما حولها بعض الأفراد الذين ينقلون الحطب من الجبال والأرياف على ظهور الجمال والحمير إلى بعض الأسواق الأسبوعية . ومنهم من كان يحضر الحطب إلى بعض منازل الأعيان والوجهاء، ويحصل على أجرته من أرباب تلك المنازل . وحمل الجمل آنذاك لا يتجاوز العشرة ريالات، وربما ارتفع إلى (١٥) أو (٢٠) ريالاً لحمل الجمل الواحد.

(٢) عاصرت هذه الطريقة عند نساء عشائر عسير وبني شهر وبني عمرو وأخبرني بعض رجالات رفيدة بأنها كانت موجودة في بلادهم خلال النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م) .والجوع قديماً يجعل الناس يبحثون عن أي مصدر غذائي يقتاتون منه، والطبيعة مليئة بالثمار والخضروات التي كانت تجمع وتؤكل .

(٣) تاريخ الجمع والالتقاط في بلاد السروات من الموضوعات الجديدة التي لم تدرس، ويستحق أن يكون موضوعاً لكتاب أو رسالة علمية خلال القرون الثلاثة الماضية .

(٤) يوجد في كتب التراث الإسلامية تفصيلات كثيرة عن بعض الحيل التي كان يمارسها الصيادون قديماً للقبض على صيودهم حية . وتاريخ الصيد قديماً وحديثاً من الأبواب الواسعة ويستحق أن يدرس في عشرات البحوث العلمية .

فيضطر الرجال إلى قتلها والتخلص منها، وعرف في البلاد بعض الصيادين المهرة الذين يجيدون القنص فيطلب منهم تتبع مثل هذه الآفات والقضاء عليها .

والرعي من المهن الرئيسية التي عرفها ومارسها سكان محافظة الأحد، وعشائر آل الشواط وآل الجحل من أكثر الناس ممارسة للرعي، لأنهم كانوا بدواً رحلاً واهتماماتهم في السابق تربية الأغنام والإبل ورعيها في ربوع المحافظة[١] . وباقي سكان المحافظة مارسوا مهنة الرعي إلى جانب الزراعة وغيرها من الحرف الاقتصادية . وبين سكان عشائر الحاف، وبني بره، وشعف جارمة من اشتغل بالرعي في السروات وتهامة، ويوجد لبعضهم أمكنة في تهامة ومنطقة الأصدار ينزلون إليها مع موشيهم أثناء فصل الشتاء، وأحياناً يمكثون فيها معظم شهور السنة [٢] .

وفي الوقت الحالي تدنت مهنة الرعي في بلاد رفيدة، وتناقصت المواشي، وتخلى أهل البلاد عن حياة الرعي وعملوا في مهن اقتصادية وإدارية ومالية تدر عليهم أموالاً أكثر بجهود أقل. وهناك أفراد أو أسر قليلة مازالوا يمارسون أعمال الرعي، فيجلبون بعض العمالة الوافدة من مصر، أو السودان، او الهند، أو اليمن، أو إثيوبيا، أو إريتريا ويعطونهم رواتب محدودة تتراوح من (٧٠٠-١٥٠٠) ريال للشهر، ويولونهم رعي قطيع من الأغنام في الجبال والأودية القريبة من مواطن أصحاب المواشي. وهناك من يحجز الأغنام في زرائب ويوظف بعض العمالة التي تشرف عليها وتقوم على إعلافها وتسمينها[٣] .

ب - الزراعة :

معظم بلاد رفيدة قحطان زراعية مسقوية أو عثرية، وجميعها أملاك خاصة[٤] .

---

(١) هذا ما سمعته وتأكد لي من بعض أعيان ورجال هذه العشائر أثناء تجوالي في أرضهم يومي السبت (٥/٢٤ و ١٤٣٩/٦/١هـ). ومعظمهم اليوم تركوا مهنة الرعي واستقروا في أوطانهم الحالية وتمدنوا في مساكنهم وجميع أحوالهم الحضارية .

(٢) لا يوجد أمكنة كثيرة للرعي في تهامة محافظة أحد رفيدة مقارنة ببعض المناطق التي شاهدتها عند عشائر عسير، ورجال الحجر، وغامد وزهران . وذلك يعود إلى محدودية البلاد التابعة لهذه المحافظة القحطانية في تهامة ومنطقة الأصدار.

(٣) تاريخ الرعي في منطقة عسير، أو بلاد قحطان، أو في عموم السروات من الموضوعات الجديدة التي لم تدرس وتستحق الدراسة في عدد من الكتب والبحوث العلمية . ونأمل من طلابنا في قسم التاريخ، برنامج الدراسات العليا بجامعة الملك خالد أن يوجهوا بعض بحوثهم العلمية إلى هذا الميدان الحضاري المهم .

(٤) هذا ما تأكد لي أثناء جولتي الميدانية في الواديين، وصحن تمنية في قريتي القرن وآل علي، وفي حاضرة الأحد، وبلاد خطاب، وجارمة، ووقشة . كما اطلعت على بعض الصكوك الشرعية والوثائق التاريخية عند بعض الأسر الرفيدية القحطانية، وأيضا في مكتبتي الخاصة، ووجدت ذكر أسر عديدة وأسماء مزارعهم وآبارهم ومواقعها وحدودها وما يزرع فيها من المحاصيل الزراعية . وسمعت من بعض الرواة في مدينة أحد رفيدة، والفرعين، والواديين بأن جميع المزارع أملاك خاصة ورثها الأبناء والآباء عن الأجداد . وأقول إن دراسة تاريخ الزراعة في بلاد قحطان من الموضوعات الجديدة ويستحق أن يصدر عنه عدد من البحوث العلمية .

وتربتها طينية غنية بالمعادن الطبيعية، التي تساعدها في العمليات الزراعية والإنتاج الزراعي، وذلك لوفرة وكثرة سقوط الأمطار طوال شهور السنة، ويتوسطها وادي بيشة الذي يغذي الكثير من الآبار أثناء جريان السيول فيه، كما يقوم القرويون بعمل حاجز من البطحاء في منطقة معينة في الوادي قبل سقوط الأمطار وجريان السيول ؛ لحفظ كمية من مياه السيول ؛ لتستفيد منها الآبار في عملية رفع مستوى المياه فيها، وتسمى بـ (الحرورة) [١] . واستخدموا في رفع البطحاء الثيران والرجال لعمل ذلك الحاجز، كما استخدموا الثيران في حرث وتنفيس التربة، وذلك بالمحراث التقليدي المكون من قطعة من الخشب، يثبت في أسفلها قطعة حديدية حادة، تساعد في عملية الحرث، وتقليب التربة، وتثبت بقطعة خشبية أخرى توضع على مقدمة الثيران، وتربط بحبل، ويقوم الرجل بغرس تلك القطعة الحديدية لعملية الحرث، ويقوم رجل آخر بجانبه لبذر الحبوب بعد تجهيزها ونقعها لمدة يومين ؛ لتساعد في عملية الإنبات بسرعة، والأرض قد جهزت قبل البذر بتسميدها بروث الحيوانات وحراثتها، ثم تقطيعها إلى مربعات، وريها وحرثها بعد أن تجف بعض الشيء، وبعدها تتم عملية الحرث والبذر، وإذا كان المحصول قمحاً فإنهم يروونه خمس أو ست مرات، وبعد نضجه يتم الحصاد .

ويستأجر الرجال والنساء لحصد المحصول بأداة تسمى (المحش)، وهي آلة حادة مشرشرة وفي مؤخرتها مقبض خشبي، ثم يقومون بجمعه وحمله، إما على الأكتاف أو على الجمال، ويوضع في (الجرين)، وهي منطقة مستوية، ومربعة الشكل أو مستطيلة، مبنية مع الأطراف، وبجانبها مساحة أخرى توضع فيها حزم القمح أو الشعير، ويطلق عليها اسم (السرف) أو (المسارف)، وتترك حتى تجف، ثم يأخذون منها جزءاً بشكل يومي، وينشرونه داخل الجرين، ويتم بعد ذلك تجهيز الحيوانات التي تقوم بعملية الدويس، ويضعون خشبة على رقاب الثيران أو الحمير (مضمد) ويربط بها قطعة من الحبل المصنوع من جلود الحيوانات، ويربط به قطعة حجر أملس مسطح، وتسحبه الحيوانات، وخلفها رجل يسوقها، إلى أن تتم عملية طحن التبن، وفرز الحبوب، ثم تجمع جذوع الزرع على هيئة حزم، وأثناء نشاط الرياح الغربية يقوم أهل المزرعة بفصل الحبوب عن التبن، فتؤخذ الحبوب في زنبيل، وتسكب مع تحرك الهواء، لكي تتخلص من بقايا التبن، ثم توضع في أكياس من الخيش، وتحمل إلى المنازل على ظهور الدواب، وتستخدم العياب المصنوعة من الجلود في حمل التبن من الجرين إلى المنزل، وذلك لتغذية الحيوانات، ووضعه تحت الأبقار والعجول، ويسمى ذلك (التجفيف)، حتى يحميها من بلل الروث والبول الذي يخرج منها.

(١) هذا ما سمعته من بعض رجال قحطان وشهران في مدينتي خميس مشيط وأحد رفيدة في نهاية شهر رجب عام (١٤٣٩هـ/٢٠١٨م) .

أما زراعة الذرة، فيوضع الحب في ماء لمدة (٢٤) ساعة وتحرث الأرض وتقطع بأداة تسمى (المينب) وهو قطعة خشبية ملساء، تثبت في قطعة خشبية طويلة يمسكها المزارع من المقبض، ويقوم بعمل حواجز داخل المزرعة بشكل مربع، ويسقيها بالماء، وتسمى هذه العملية (البغارة)، وبعد ثلاثة أيام يبدؤون بعملية الحرث والبذر، وفي اليوم التالي يؤتى بقطعة خشبية ثقيلة تربط في الثيران بحبل، ويكون هناك رجل من خلف الثيران يسوقها، وتقوم بمسح التربة وجعلها مستوية، ثم يأتي ثلاثة أو أربعة رجال، ويقسمونها إلى قصاب ووضع مجاري للمياه فيما بينها، وتترك لمدة ثلاثة أو أربعة أيام، ثم يقومون على ريها وحراستها من الطيور والغربان؛ لكي لا تنبش التربة، وتأكل الحبوب، حتى تنبت ويسقونها أكثر من مرة، وتسمى كل رية بـ (الطوف) وبعد نضجها واستواء الحبوب (المطيان) يأتون بعدد من الرجال والنساء ويقومون بفصل الثمار (المطيان) من العجور، وجمعه في زنابيل، وحمله في الخياش والعياب على ظهور الدواب إلى الجرين، ويترك حتى يجف.

أما العجور فيستخدم لتغذية الحيوانات والحبوب التي وضعت في الجرين فتداس، وتفصل الحبوب عن (الجولة) وهي بقايا المطيان. والباقي يباع. وزراعة الدجر (اللوبيا) أثناء زراعة الذرة، ويوضع في أماكن مخصوصة حتى يجف، والبعض الآخر يؤكل وهو ما يزال أخضر. وبعد التوسع في عملية تعدين البترول تحول المزارعون إلى استخدام الجرار الآلي في حراثة الأرض وتقليبها، كما استخدموا في الري المضخات الآلية، واقتصر عملهم اليدوي على تقطيع الأرض وعملية الري، واتجهوا إلى التسميد الكيميائي، وبسبب قلة الأيدي العاملة المحلية في الزراعة، استقدموا الأيادي العاملة وصاروا يزرعون الخضار والفواكه، ثم تطورت أنماط الزراعة، وظهرت البيوت المحمية (الصوب)، واستخدمت بذور معينة لتلك الزراعة مع عملية التقطير في الري، وهي تتسم بكثرة الإنتاج، وتكون أقل عرضة للصقيع أو أشعة الشمس القوية، مما يكون لها عائد اقتصادي كبير، لكن من عيوب تلك الزراعة استخدام المبيدات الكيميائية، التي تؤثر على صحة المستهلك.

وفي العقود الأخيرة من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) تدهورت الحياة الزراعية، وتحولت كثير من الأراضي الزراعية إلى مستوطنات سكنية وتجارية، وصار الناس لا يمارسون الزراعة إلا نادراً، والقائمون على بعض الزراعات من الأجناس البشرية الوافدة من خارج المملكة العربية السعودية. وجل الزراعات التي يمارسون من الخضروات كالطماطم، والبطاطس، والفاصوليا، والباذنجان، والملوخية، والملفوف، والفلفل، والبامية وبعض الفواكه مثل التفاح، والخوخ، والجوافة، والكمثرى، والرمان، والتين وغيرها من الثمار المحلية [1].

(١) حبذا أن نرى باحثاً جاداً يدرس تاريخ الزراعة قديماً وحديثاً في بلاد قحطان أو منطقة عسير. وهذا الموضوع جديد في بابه ويستحق أن يدرس في عدد من الدراسات العلمية الموثقة. والأمل معقود على الأقسام العلمية الأكاديمية بجامعتي الملك خالد وبيشة.

ج ـ الحرف والصناعات :

عرف الرفيديون العديد من الصناعات القديمة مثل: صناعة الفخار، ومن الأدوات الفخارية المحلية المستخدمة لأغراض عديدة : (١) الجرات الفخارية : وتسمى "مصاخن" ومفردها "مِصْخَنَة:، وتستخدم لحفظ اللبن وتبريده، وهي ذات فوهة واسعة تسمى "جَحْلَة"، كما يطلق على جرة اللبن اسمٌ آخر وهو "المَخَضَّة". (٢) المِبْخَر: وهو معروف من اسمه، لكنه أصغر حجماً بكثير من "المبخر". العادي، ذي النجوم الديوسية.(٣) الحِبُّ والزِّيرُ: الحبّ بكسر الحاء إناء كبير يشبه "الخرْص" به أربعة مقابض "عراوي" إذا كان صغير الحجم، وإذا كان الإناء كبيراً دون مقابض يسمى حبَّان وإن كان صغيراً يسمى "زِيراً"، ويستخدم الزير لتخزين الماء، وأحياناً يكون بأسفله "حنفية" لصب الماء، ويسمى في رفيدة "باليُوحَل". (٤) البُرْمَة: إناء فخاري يستخدم في طبخ اللحم، وعمل العصيدة، وإذابة الزبدة فيها، وتعطى الطعام رائحة طيبة، ولها غطاء فخاري له مقبض من الأعلى.(٥) المَرْتِيُّ: إناء فخاري مدور له حبول "مقابض"، وله غطاء مصنوع من سعف النخيل، شكله هرمي، ويستخدم لحفظ الحليب بعد حلبه من الأبقار والأغنام والماعز، وهناك أحجاماً من هذا الإناء، وتستخدم لتقديم اللحم، ولها أغطية من الفخار[١] . (٦) الغُضَارُ: إناء فخاري مدور، وجسمه صغير، يستخدم لسكب المرق أثناء تقديمه على السفرة، (٧) المُدَرَّةُ : إناء فخاري يأخذ الشكل الدائري، ومنه أحجام، فبعضه يستخدم للبن، والبعض الآخر يكون أكبر حجماً.(٨) المِقْمَصُ: برميل فخاري مدور، فيه فتحة في الأسفل، تسمح بدخول الهواء أثناء تسخينه بالحطب قبل الخبز، وهناك نوع آخر يكون مفتوحاً من الأمام يسمى "التنورة"، وتستخدم للخبز أيضاً. (٩) المِسْخَنُ: "المِقْلَى" : إناء فخاري أكثر اتساعاً، وعمقه متوسط ويستخدم لتحميس حبوب الشعير (تسخينها) ؛ ليعطيها مذاقاً أفضل، وهناك صناعات حجرية من الأحجار المحلية، وبعض المهرة من البنائين ومساعديهم يجيدون عملية هندسة الحجارة التي تُبنى بها المنازل والقصور وبعض المرافق المعمارية الأخرى[٢] .

وعرف سكان محافظة أحد رفيدة أدوات حجرية . ومن تلك الأدوات التي شاهدتها في بعض البيوت القديمة في الواديين، والفرعين، وحاضرة الأحد .(١) إناء الحُرْضَة: هو إناء حجري يصنع من حجر صابوني يعرف بالمدهن، وله أشكال مختلفة، فمنها

(١) رأيت كثيراً من هذه الأدوات الفخارية في بعض بيوت قحطان، وفي متاحف أخرى عديدة في منطقة عسير .

(٢) ذكر لي بعض سكان سراة عبيدة، وأحد رفيدة، وأبها أسماء بنائين جيدين عاشوا في منطقة عسير خلال النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م) كما شاهدت بعض البنائين في بلاد بللسمر وبني شهر وبني عمرو خلال العقدين الأخيرين من القرن (١٤هـ/٢٠م) وكانوا مهرة جيدين في إصلاح الحجارة المستخدمة في البناء . بل كان يرافقهم بعض المساعدين الذين يشاركون في هندسة الحجارة قبل استخدامها في عملية البناء .

ما يستخدم "للمطحوح" (العريك والسمن) وبعضها ذات عمق أكبر، وتستخدم لطبخ اللحم، ويوضع مع الخبز الرقاق بعد نضج اللحم " المكسف " ومنها ما يكون أكوابا حجرية بأحجام مختلفة، تستخدم لشرب الماء واللبن، ويستخدم البعض منها لحفظ العجين وغيره من المواد الغذائية . (٢) الرَّحَى : تتكون من قطعتين حجريتين توضعان فوق بعضهما بشكل متطابق، ويكون في الحجر العلوي فتحة في الوسط لوضع الحبوب بداخلها أثناء الطحن، وفتحة أخرى في طرف الحجر العلوي،، تثبت فيها قطعة من الخشب تسمى " النواة"، ومع كثرة استعمال الرحى تصبح أحياناً غير جيدة في طحن الحبوب فيؤتي بإنسان ماهر في صناعة الرحى فيجري عليها بعض الإصلاحات حتى تعود لوضعها الصحيح، ويخصص لها في المنازل القديمة مكان يسمى " دار الرحى"، ويقومون بدهنه بمادة القص، التي تجلب من الجبال، وهي مادة بيضاء تخمر مع الماء والصمغ المأخوذ من شجر السنط، ويحرك باليد، ثم تدهن الأرضية التي حول الرحى، وبعد أن تجف تلون بأوراق البرسيم[١] .

ومهنة النجارة من المهن القديمة والرئيسية خلال القرون الماضية . ويمارس صناع الخشب مهنتهم بقطع الأخشاب من أشجار الطلح، أو الغرب، أو السنط، أو الأثل . وغالباً تقطع في فصل الشتاء حتى لا تصاب الأخشاب بالسوسة، وتترك حتى تجف، ثم تقطع إلى أجزاء، ويتم صناعتها حسب المطلوب . ومن الأواني الخشبية التي عرفها الأوائل. (١) الصَّحَافُ: تستخدم لوضع العريك، أو المدور المصنوع من المبثوث أو المصبع، ويوضع في وسطها غضارة من السمن البقري، ومنها ما هو مخصص للعجين، أو تقديم الأرز واللحم وقت المناسبات. (٢) المِنْحَازُ: إناء متوسط الارتفاع، عميق نوعاً ما، له يد خشبية، ويستخدم لطحن الحبوب، والتوابل، وأوراق الحناء، وغيرها . (٣) المِبْرَدُ: وجمعه مبارد : إناء صغير مدور مصنوع من الخشب، وله أحجام عديدة، ويستخدم لحفظ الهيل والقهوة والقرنفل والسكر والشاي وغيرها، وغالباً ترص المبارد بعضها بجانب بعض بالقرب من موقد النار، وبخاصة في المكان الذي يستقبل فيه الضيوف . (٤) القَدَحُ: وجمعه أَقْدَاح، إناء محفور من الخشب، وله عدة أحجام، منها الذي له مقابض من الطرفين، وأنواع أخرى ذات مقبض واحد، وتستخدم في حفظ الزبد بعد تصفيته من الألبان. (٥) المُدُّ: إناء صغير يستخدمه لقياس الحبوب، وعلى أطرافه نوعٌ من الجلود مثبتة بمسامير حديدية. (٦) هناك أدوات خشبية أخرى عديدة مثل: الأبواب، والنوافذ،

(١) رأيت أنواعاً عديدة من الرحى التي كانت تستخدم في بعض قرى الواديين، والفرعين، وشعف جارمة . والذاهب إلى بعض المتاحف المحلية في منطقة عسير يرى أحجاماً متعددة من الرحى التي عرفها الناس حتى سبعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) .

والكراسي، وبعضٍ الأغراض المستخدمة في الزراعة والري، والتجارة، والتربية والتعليم وغيرهـا . وكثيراً من هـذه الأدوات مازالت موجودة عند بعض الأسـر القحطانية، وفي بعض المتاحف المحلية .

كما عرف سـكن رفيدة دباغة وصـناعة الجلود، وكانوا يحصـلون على الجلود من مواشـيهم، ويعكفـون على دباغتها وتنظيفها من الشـعر وما علق بها، ثم تعطى صـانع الجلـد ليقـوم بتحويلهـا إلى الأشـكال المطلوبـة . ومـن الأدوات الجلديـة التـي عرفها واستخدمها الرفيديون . (١) القرْبَة: ويقوم الصانع بخياطة الجلد مع الوسط والأيدي والأرجـل، ويترك رقبـة الذبيحةَ مفتوحة، وتسـتخدم في العادة لجلب الميـاه من الآبار، وللمحافظـة علـى القربةِ يوضـع عليها القليل من الشـث، وتلف وتحفـظ في مكان غير معرض للهواء .(٢) الشكْوَة: مصنوعة من جلود الماعز، لخض الحليب، حتى يتحول إلى لبن، وذلك للأشخاص الذين لا يمتلكون الدبية[1]. أو الذين يمتلكون كثيراً من الأغنام، ويسـتخدمون الدبية والشـكوة معاً. (٣) العُكة: مصـنوعة من جلد الماعز، ولها أحجام مختلفة، تستخدم لحفظ السمن البقري، أو سمن الأغنام والماعز، وطريقة الحفظ فيها تكون بوضـع شـيء من التمر بعد إزالة النواة داخل العُكة، وتمسك مع أطرافها، ويخض التمر المهروس داخل جلد العُكة، ثم تنظف بسـكب السـمن بعد تجهيـزه. (٤) الخُرْجُ: مصـنوع من الجلد البقري، وشكله مسـتطيل، وفيه فتحتان على جانبه، يتم خياطتهما وعادةً يسـتخدم في حمل المقاضـي والأغراض المنزلية التي تجلب من الأسـواق . (٥) القَطِـف: جلـد بقري، وشـكله دائري، وفي إحـدى أطرافه حامل من الجلد، ويسـتخدم لحمـل الحبوب فيه أو الطحـين .(٦) الحبَالُ: قطع جلدية ملفوفة على بعضـها، طولها مـن المترين إلى ثلاثة أمتار، تسـتخدم لحَمل الحطب والبرسـيم والشـعير والذرة بعد الحصاد، وأحياناً تصل الحبال إلى أكثر من ذلك .(٧) العَيْبَةُ: وتصنع من جلد الأبقار، وتستخدم لحفظ الأمتعة الخفيفة .

وسـمعت من بعض الرواة وجود صناعة المعادن ممثلة في الذهب والفضة، وكان في بلاد رفيدة بعض الصـاغة والحدادين الذين يصـنعون الأدوات الحديدية والنحاسـية وغيرهـا، ومن تلك الأدوات: (١) **الصُّفْرِيَّةُ:** إناء من النحاس للسـوائل والأكل، ويوضـع

(١) الدِّبْيَةُ: ثمرة كبيرة من القرع، تقطف ويعمل فتحة في أعلاها، ويستخرج ما بداخلها. وبعد تنظيفها تترك لتجف، ثم يعمل أحبلة مصـنوعة من سـعف النخيل بعد نقعها وفتلها، ثم توضـع بشكل شبكي على جوانب ثمرة القرع، وتربط بحبل في أعلاها، ويصـنع لها غطاء مدور الشكل من الخشب، من شجر الغرب، وهي تستخدم لخض الحليب بعد حلبه من الأبقار أو الأغنام، وتركه حتى يصل إلى درجة التجمد، ويكون قوامه ثقيلاً، ثم يربط الحبل أعلى الدبية، وتهز حتى يفصل الزبد عن اللبن، وتكون مدة الخض أقصر في فصل الصيف من فصل الشتاء .

فيها الحنيني وهي أكلة شعبية تتكون من البر والسمن والتمر. (٢) **المَطْبَقِيَّةُ:** تصنع من النحاس، ولها غطاء محكم، يضعون فيها التمر، ولها مقابض من الجانبين. (٣) **القِدْرُ:** وجمعه قدور: إناء نحاسي يأخذ شكلاً مدوراً وأحجامه مختلفة، وله مقابض. وتستخدم القدور الكبيرة لطبخ الذبائح والصغيرة للعجين وطبخ بعض الأطعمة (٤) **المَثْفُوبةُ:** إناء من النحاس يستخدم لحفظ بعض السوائل بها مثل الدهن واللبن والماء. (٥) **القِدْرُ:** وجمعه قدور وشكله مدور، وأحجامه مختلفة، ويستخدم لأغراض عديدة[١]. (٦) **وأدوات أخرى كالسيوف، والخناجر، وصياغة وإصلاح بعض المجوهرات، وبعض الأدوات الزراعية كالفأس، والمحراث وغيرها**[٢].

ومارس القحطانيون الكثير من الحرف القديمة مثل: الخياطة، والصياغة، والحلاقة، وغسيل الملابس، وتنظيف المنازل وتزويقها[٣]. ولاندعي في هذه الجزئية دراسة كل الحرف والصناعات التقليدية القديمة المعروفة عند سكان محافظة أحد رفيدة، لكننا أشرنا إلى بعضها، ونأمل أن يأتي من أبناء هذه البلاد من يدرس هذا المجال الحضاري دراسة علمية موثقة.

ومنذ نهاية القرن الهجري الماضي، وبداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) بدأ الناس يتركون المهن والحرف القديمة، ويستبدلونها بحرف وصناعات حديثة، وذلك لأسباب عديدة نذكر منها:

١. توفر المال عند الناس، ثم دخول الكهرباء والآلات الحديثة التي استخدمت في مهن الزراعة، والعمارة والبناء، وصناعة الألبسة، وما يحتاجه الفرد من أدوات خشبية وغيرها.
٢. لم يعد أبناء المحافظة الذين يمارسون الحرف والصناعات المتنوعة كما كان آباؤهم وأجدادهم، وإنما استقدموا الكثير من الأجناس العربية والأجنبية التي تقوم بالعمل في كل الصناعات والمهن في أنحاء البلاد.
٣. من يسير في مناكب محافظة أحد رفيدة سوف يشاهد مئات الدكاكين المخصصة

---

(١) رأيت كثيراً من هذه الأدوات في بعض المتاحف المحلية بمنطقة عسير. وبعض هذه الأواني تصنع في بلاد قحطان أو منطقة عسير، وأخرى تجلب من بعض الأسواق الكبيرة في الحجاز وغيرها.

(٢) أطلعني بعض الرفيديين على شيء من تلك الأدوات القديمة المحفوظة في منازلهم القديمة في الواديين ومدينة أحد رفيدة. وهناك من يحتفظ ببعضها في غرف مخصصة لحفظ بعض أدوات التراث القديم. وأقول إن تاريخ الحرف والصناعات القديمة في بلاد قحطان من الموضوعات المهمة والجديرة بالبحث والدراسة. ونأمل أن نرى باحثاً جاداً يدرس هذا الموضوع في كتاب أو رسالة علمية موثقة.

(٣) جميع الأسر كانت تمارس هذه الحرف في نطاق حاجة أفرادها، وبعضها يعملها الرجال وآخر النساء، وهناك مهن يشترك في ممارستها النساء والرجال.

للصناعات وحرفاً أخرى كثيرة، فهناك ورش وأماكن مخصصة لخدمة السيارات، وأخرى للكهرباء والسباكة، والنجارة، وإصلاح الأجهزة الدقيقة، والآلات الكبيرة. كما سنرى المحلات التجارية والخدمية التي يُقدم فيها عشرات الأعمال المهنية. وأصبح هناك مؤسسات إدارية تشرف على هذه الأعمال مثل: البلديات، وفرع الغرفة التجارية وغيرها من الإدارات الحكومية والأهلية [١] .

د. التجارة :

التجارة في بلاد رفيدة قديماً محدودة، وتقوم على الأسواق الأسبوعية، وأهمها سوق الأحد الذي عرفت تلك الناحية باسمه (أحد رفيدة)، والمقصود بذلك بلدة الأحد، ثم أطلق الاسم على جميع أجزاء بلاد رفيدة، وأصبحت معروفة باسم (محافظة أحد رفيدة) [٢] . وسوق الأحد من الأسواق الأسبوعية المشهورة في منطقة عسير لتوسط موقعه في سروات قحطان، وكثافة السكان والقرى المحيطة به، ويقع في قرية درب العقيدة التابعة لعشيرة بني قيس حتى نهاية القرن (١٣هـ/٢٠م) [٣]، ثم انتقل إلى قرية آل مدير في عشيرة ذعي، ومازال مكانه واضحاً حتى اليوم وسط مدينة الأحد [٤]. وفي منتصف العقد الثالث من القرن (١٥هـ/٢٠م) انتقل السوق غرب طريق الملك خالد، ومعظم الدكاكين التجارية في السوق مفتوحة خلال أيام الأسبوع، لكنه ينشط ويرتاده الناس بكثرة يوم الأحد [٥] .

ومن الأسواق الأسبوعية الأخرى، سوق خميس الحاف وسط الواديين، ويرتاده متسوقون كثيرون وأصبح يعرف باسم (سوق الجمعة)، ولا يبعد كثيراً عن مكانه الأول، ويقع على الطريق الذي يربط بين الواديين والفرعاء (القرعاء) . وهناك سوقان أسبوعيان آخران، أحدهما في الفرعين ويعرف باسم (سوق السبت). وسوق لجوان في شعف جارمة يوم الأربعاء . وهذان السوقان مندثران ولا يعملان حالياً، وحل قريب

---

(١) إن الحديث عن الصناعات والحرف الحديثة يحتاج لبحوث عديدة في مئات الصفحات، وفي عشرات البحوث . ونأمل أن نرى باحثين جادين يقومون على دراسات مقارنة للصناعات والحرف قديماً وحديثاً، مع الإشارة إلى إيجابيات وسلبيات كل فترة .

(٢) محافظة أحد رفيدة إحدى المحافظات الرئيسية التابعة لإمارة منطقة عسير، ويحيط بها اليوم عدد من المحافظات، مثل :سراة عبيدة من الجنوب، ومحافظة خميس مشيط من الشمال، ومحافظة طريب من الشمال الشرقي . وكل هذه المحافظات تستحق دراسات علمية موثقة، ونأمل من مراكز البحوث والأقسام الأكاديمية في جامعة الملك خالد أن تهتم بدراسة هذه النواحي .

(٣) حبذا أن نرى باحثاً جاداً يدرس تاريخ السوق وتاريخ قرية درب العقيدة خلال القرون الماضية المتأخرة .

(٤) مشاهدات الباحث يومي السبت (٢٤/٥، ١/٦/١٤٣٩هـ) . وأقول إن تاريخ عموم بلاد قحطان الجنوب من الموضوعات الجديدة والجديرة بالدراسة في عدد من البحوث العلمية .

(٥) معظم الأسواق الأسبوعية القديمة اندثرت ومازال بعضها قائماً حتى اليوم، ونأمل أن نرى باحثين جادين يدرسون تاريخ الأسواق الأسبوعية في بلاد تهامة والسراة، وهي موضوعات جديدة وتستحق أن تدرس في عدد من الكتب والرسائل العلمية .

منهمـا دكاكين تجارية حديثـة مفتوحة جميع أيام الأسـبوع . وأخبرني بعض الرواة من بلاد الفرعين، بأن أهل الفرعين يعتزمون إعادة سـوقهم الأسـبوعي، وحتى تدوين هذه السطور لم أشاهد شيئاً ملموساً حول هذا الخبر[١] .

والأسـواق الأسـبوعية القديمـة جامعة عامة لسـكان البلاد، فهـم يرتادونها للبيع والشراء ، ومشاهدات الأصدقاء، ومعرفة الأخبار في أنحاء البلاد. كما أن تلك الأسواق تقع تحت حماية القرى والعشـائر التي توجد في أرضـها. وقد اطلعت على مئات الوثائق التي تنظم إقامة الأسواق في بلاد تهامة والسراة، وفي هذه المصادر بنود كثيرة تصب في خدمة الأسواق وحمايتها، وجعل الناس يرتادونها في سهولة ويسر، كما أن تلك الأسواق كانت متنفسـاً لمـن يرتادها فهـم يتاجرون فيما يقـدرون عليه، ويسـتمعون إلى الوعظ والإرشاد الذي كان يعلن فيها، وكذلك يعرفون أخبار البلاد من حولهم[٢] .

والأسواق قديماً مرتبطة بطرق بدائية يسلكها الناس ودوابهم، ويُصَدّر إليها بضائع محليـة مثل: الحبـوب والحيوانات ومشـتقاتها، وبعض الأدوات المنزلية أو الاقتصـادية المصـنوعة محليـاً . وهناك بضـائع تـرد إليها من خـارج المحافظة كالأقمشـة، وبعض الألبسـة وأدوات الزينة، والأطعمة، وتجارات أخرى متعـددة . وكانت العملات المتداولة بين الناس قليلة، فتجدهم يتعاملون بالمقايضة، وأحياناً بالدين إلى أجل مسمى[٣] .

ومنذ نهاية القرن الهجري الماضـي حتى اليوم نهضـت منطقة عسـير في كثير من المجـالات الحضـارية [٤] . والتجارة مـن أهم الميادين التي توسـعت أبوابها . وصـارت محافظة أحد رفيدة جزءاً من المنطقة، فارتبطت مع غيرها بالعديد من الطرق المعبدة والواسـعة، والمحافظة نفسـها أصبحت مترابطة بعضـها مع بعض بشبكات طرق جيدة وعلـى جنباتهـا الكثير من الخدمات التي يحتاجها السـالكون لها، فـلا تخلو من مئات الدكاكين والمحلات التجارية، ومحطات البترول وخدمات السيارات وغيرها[٥]. وأصبح

(١) كانت هذه الأسـواق الأسـبوعية نشطة خلال القرون الماضـية المتأخرة، ومع وجود التنمية الحضارية التي تعيشـها البلاد اندثرت هذه الأسـواق القديمة وحل محلها أسواق حديثة يومية . ونأمل من أبناء محافظة أحد رفيدة وبخاصـة الباحثين وأسـاتذة الجامعات أن يدرسـوا تاريخ وحضـارة هذه الأسواق الأسبوعية، وهي جديرة أن يكتب عنها بعض البحوث الأكاديمية .

(٢) دراسـة أهمية الأسواق الأسـبوعية قديماً تجارياً وأمنياً وسياسـياً وحربياً واجتماعياً ودعوياً وغيرها من الموضوعات الجديرة بالبحث والدراسة في عدد من البحوث العلمية الموثقة .

(٣) تاريخ التعاملات التجارية في الأسـواق الأسـبوعية في سروات قحطان من الموضوعات المهمة والجديدة في بابها وتستحق أن تدرس في عدد من البحوث العلمية الموثقة .

(٤) حبذا أن نرى باحثاً جاداً فيدرس تاريخ التنمية في منطقة عسـير خلال الخمسـين سـنة الماضـية، وهذا الموضوع يستحق أن يبحث في بحوث عديدة .

(٥) مشاهدات الباحث يومي السبت (٥/٢٤، ١٤٣٩/٦/١هـ) .

يقوم على خدمة البلاد تجارياً الكثير من المؤسسات الحكومية والأهلية[١]، وأصبح في أنحاء المحافظة أسواق متعددة ومتفاوتة في أحجامها ومعروضاتها[٢]. ومن خلال جولاتي في عموم المحافظة لم أشاهد فيها أسواقاً (مولات) كبيرة، وربما قربها من مدينتي أبها وخميس مشيط هو السبب الرئيسي الذي جعل التجار والمستثمرين الكبار لا يؤسسون أسواقاً عملاقة في هذه المحافظة[٣].

وأثناء سيري في أرجاء محافظة أحد رفيدة جمعت من بعض الرواة معلومات تتعلق بالأسعار والأجور خلال الستين أو السبعين عاماً الماضية. فأسعار الدواب كانت محدودة من السبعينيات حتى بداية القرن (١٥هـ/٢٠م)، فالجمل يتراوح سعره من أربعين وخمسين ريالاً إلى المئات وأحياناً يدخل السعر خانة الألف والألفين. وخلال الأربعة عقود الماضية (١٤٠٠-١٤٣٩هـ/١٩٨٠-٢٠١٨م)، نجد أسعار الجمال في الآلاف وغالباً تتراوح من (٣٠٠٠ - ١٠،٠٠٠) ريال، وربما زادت أسعار بعض الجمال المميزة. وأيضاً أسعار الأبقار أو الأغنام كانت بالعشرات وأحياناً المئات إلى التسعينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م)، وفي القرن (١٥هـ/٢٠-٢١م) أصبحت الأغنام بالمئات وبعضها أحياناً بالألف أو الألفين للرأس الواحد، أما الأبقار فهي بالآلاف، وغالباً ما تتراوح من الألف إلى الستة والسبعة وأحياناً الثمانية آلاف للرأس[٤].

والحبوب وبعض الأطعمة بالقروش والريالات القليلة للصاع أو المد، أو الكيلو من السبعينيات إلى التسعينيات في القرن (١٤هـ/٢٠م)، ثم ارتفعت قليلاً في عهدي الملكين خالد وفهد بن عبد العزيز آل سعود (١٣٩٥-١٤٢٦هـ/١٩٧٥-٢٠٠٥م)، وفي عهدي الملكين عبدالله وسلمان بن عبدالعزيز آل سعود (١٤٢٦- ١٤٤٠هـ/٢٠٠٥-٢٠١٨م)، ارتفعت الأسعار كثيراً، حتى إن كيس الأرز أوالسكر (٤٥) كيلو كان يباع في بداية هذا القرن بالعشرات وأحياناً يرتفع إلى المئة وربما زاد قليلاً، وأصبح يباع اليوم بـ (٢٠٠-٣٠٠) ريال لكيس الأرز، و(١٥٠-٢٠٠) ريال للسكر. وكذلك الفواكه كان الكيلو من الموز، أو التُفاح، أو البرتقال، أو العنب، أو الرمان أو غيرها، يباع بالريالين والثلاثة

(١) يوجد في محافظة أحد رفيدة وفي عموم منطقة عسير عشرات الإدارات الرسمية والأهلية التي تقوم على خدمة البلاد والعباد في شتى المجالات. وتاريخ هذه المؤسسات من الموضوعات الواجب دراستها في بحوث علمية موثقة.

(٢) مشاهدات الباحث يومي السبت (٥/٢٤، ١٤٣٩/٦/١هـ).

(٣) التاجر الكبير يبحث دائماً عن الربح. والذاهب في أرجاء مدينتي أبها وخميس مشيط يجد فيها أسواقاً كبيرة جداً يرتادها المتسوقون من جميع مناطق بلاد تهامة والسراة. حبذا أن نرى باحثاً يدرس تاريخ التجارة الحديثة في منطقة عسير وهو موضوع مهم ويستحق أن يدرس في كتب أو بحوث علمية موثقة.

(٤) هذا ما سمعته من بعض الرواة في سروات قحطان. وبخاصة محافظات ظهران الجنوب، وسراة عبيدة، وأحد رفيدة، كما وجدت شيئاً من هذه المادة في بعض الوثائق الموجودة في مكتبتنا (مكتبة الدكتور غيثان ابن جريس العلمية).

وربما ارتفع إلى الخمسة ريالات، ومنذ عشرينيات القرن (١٥/٢٠م) ارتفعت أسعار هذه السلعة أربعة أو خمسة أضعاف .

والألبسة، والأقمشة، وأدوات الزينة، وأثاث المنازل، والأدوات المدرسية والمكتبية كانت رخيصة ومحدودة جداً في النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م)، ثم ارتفعت تدريجياً منذ العقد الثاني من القرن (١٥هـ/٢٠-٢١م) حتى أصبحت اليوم (١٤٣٩هـ/٢٠١٨م) غالية جداً، فاللباس المتوسط الجودة للرجل أو المرأة يقدر بالمئات وأحياناً بالآلاف، أما الألبسة عالية الجودة فأسعارها دائماً في الآلاف، وقس على ذلك أدوات الزينة . أما أثاث المنازل فقد كان قديماً محدوداً ورخيصاً، واليوم أصبح في خانة المئات والآلاف حسب نوع الأثاث وجودته. وقد دخلت مجالس بعض الوجهاء والأعيان والموظفين الكبار والتجار وحتى متوسطي الحال في محافظة أحد رفيدة وفي مدن عديدة من بلاد تهامة والسراة فوجدت أثاث المجلس الواحد يقدر بالخمسين والمئة ألف ريال، وأحياناً تزيد أثاث بعض المجالس عن هذه الأسعار. كما زرت بعض المؤسسات الإدارية الأهلية والرسمية في مدن أحد رفيدة، وخميس مشيط، وأبها فوجدت أثاث بعض المكاتب الكبيرة يقدر بعشرات الآلاف وبعضها تزيد أسعار أثاثها عند الأمراء وكبار الموظفين من (١٠٠- ٣٠٠) ألف ريال .

ووسائل المواصلات في الماضي الجمال والحمير كانت رخيصة، ثم ظهرت السيارات منذ ستينيات وسبعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) وكانت حتى التسعينيات قليلة ومحدودة، ثم تزايدت منذ بداية القرن (١٥هـ / ٢٠م)، وكانت أسعارها حتى نهاية العشرينيات من القرن (١٥هـ/٢٠م) معقولة، تتراوح من السبعة وعشرة آلاف إلى الأربعين وخمسين ألف ريال للسيارات الصغيرة ومتوسطة الحجم المخصصة للمواصلات ونقل الركاب، أما السيارات الكبيرة والآلات الأخرى مثل الجرارات، والخلاطات، والتريلات، والباصات فأسعارها أغلى. ثم ارتفعت الأسعار بشكل كبير، فأصبحت السيارة التي كانت تباع بالعشر وعشرين ألف ريال في بداية القرن (١٥هـ/٢٠م)، تباع اليوم من (٧٠-١٠٠) ألف ريال، وقس على ذلك جميع الآلات، والمركبات، فهي اليوم غالية جداً، وارتفعت أسعارها من (١٠-١٥) ضعفاً[١] .

وأسعار الأراضي الزراعية والسكنية حتى بداية التسعينيات (١٤هـ/٢٠م) قليلة ونادرة في عموم سروات قحطان بل في بلاد تهامة والسراة[٢]. وأحياناً كانت تقايض

---

(١) هذا ما سمعته وعرفته في منطقة عسير من عام (١٣٩٦- ١٤٣٩هـ/١٩٧٦-٢٠١٨م) . وتاريخ الأسعار في عموم بلاد تهامة والسراة منذ عام (١٣٥٠-١٤٣٩هـ/١٩٣١-٢٠١٨م) من الموضوعات المهمة والواجب دراسته في عشرات الكتب والبحوث العلمية.

(٢) أهل تهامة والسراة قديماً لا يبيعون أراضيهم، ومن يفعل ذلك فهو يحتقر ويستهجن من قومه . ومازالت هذه العادة موجودة على نطاق أقل عند أصحاب الأراضي الزراعية في هذه البلاد .

بعض الأراضي بسلع أخرى مثل: الحبوب، أو المواشي، أو السلاح، وغيره. ومن عام (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م) ارتفعت أسعار الأراضي، وهناك مزارع وأراض أخرى في محافظة أحد رفيدة، وغيرها شقت من خلالها بعض الطرق الرئيسية، أو شيدت فيها بعض المؤسسات الإدارية وأعطي أصحابها عوضاً مالياً من الدولة قدر بمئات الآلاف[١] .كما ظهرت المخططات السكنية في محافظة أحد رفيدة وما جاورها وأصبحت الأرض التي تبلغ مساحتها من (٤٠٠- ١٠٠٠م٢) تباع من عشرات إلى مئات الآلاف، وأحياناً تدخل خانة المليون وأكثر حسب موقع الأرض ومساحتها. والملاحظ أن أسعار الأراضي في العقدين الأولين من عهد الملك فهد بن عبد العزيز كانت أرخص من العقود التالية، فالأرض التي كانت تباع بخمسين أو مائة ألف ريال من عام (١٤٠٢-١٤١٥هـ/١٩٨٢-١٩٩٥م)، أصبحت تباع في نهاية العشرين بخمسمائة ألف حتى المليون والمليوني ريال حسب الموقع والمساحة، وأستطيع القول أن أسعار الأراضي زادت من عام (١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م) حتى وقتنا الحاضر (٥-١٠) أضعاف [٢] .

والأجور والرواتب منذ الخمسينيات إلى بداية التسعينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م) قليلة جداً، فأجرة الجمل الواحد من بلدة الأحد إلى نجران أو أبها أو بيشة تقدر بالريالين والثلاثة، وأحياناً بالقروش في الخمسينيات وبداية الستينيات .وعند دخول السيارات إلى منطقة عسير وما جاورها صارت تستخدم في نقل المسافرين ونقل البضائع، وأجرة الراكب الواحد إلى مدن منطقة عسير في تهامة والسراة أو الحجاز أو نجد محدودة، وتتراوح من الريال أو الريالين إلى الخمسين ريالاً حسب نوع السيارة، وبعد المسافة . ومنذ بداية القرن (١٥هـ/٢٠م) ارتفعت الأجور حتى صارت بالعشرات وأحياناً بالمئات أو الآلاف داخل منطقة عسير، أو مناطق تهامة والسراة أو مدن نجد والحجاز وغيرها حسب نوع البضائع المنقولة، أو عدد المسافرين في السيارة الواحدة[٣]. والدارس لتاريخ الأجور في محافظة أحد رفيدة أو حاضرة أبها منذ (١٤١٠-١٤٣٩هـ/١٩٩٠-٢٠١٨م) يجدها مرتفعة ومتفاوتة حسب النوع المستأجر. فإذا كانت أرض، أو عمارة، أو شقة، أو

(١) أموال التعويضات التي تدفعها الدولة في منطقة عسير أو بلاد تهامة والسراة منذ عام (١٣٩٦هـ-١٤٣٩هـ) . من الموضوعات المهمة والجديرة بالبحث في بحوث عديدة .

(٢) هذا ما سمعته وعرفته في منطقة عسير من عام (١٣٩٦- ١٤٣٩هـ/١٩٧٦-٢٠١٨م) . وتاريخ الأسعار خلال المئة عام الماضية في منطقة عسير موضوع جديد يستحق أن يدرس في عدد من الدراسات العلمية .

(٣) أجور نقل البضائع والمسافرين في بلاد قحطان، أو منطقة عسير، أو بلاد تهامة والسراة خلال القرن (١٤هـ/٢٠م)، وبدايات هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) من الموضوعات الجديدة، وتستحق أن تكون عنواناً لكتاب أو رسالة علمية موثقة .

دكاناً، فتقدر بعشرات الآلاف وأحياناً مئات الآلاف للعام الواحد[١] .

اما الرواتب فكانت تقدر بالقروش ثم الريالات القليلة في الخمسينيات وبداية الستينيات . ومن عام (١٣٧٠-١٤٠٠هـ / ١٩٥٠-١٩٨٠م) ارتفعت الرواتب إلى المئات حتى الثلاثة والأربعة آلاف لكثير من الموظفين، وهناك موظفون قليلون، كالمديرين، وكبار العسكريين تصل رواتبهم إلى السبعة والثمانية وربما العشرة آلاف ريال. ثم زادت عموم الرواتب خلال العقدين الماضيين حتى أصبح راتب أصغر موظف يتراوح من (١٥٠٠-٤٠٠٠) ريال، ومتوسطي الموظفين من (٥٠٠٠- ١٠٠٠٠) ألف، وهناك كثير من الموظفين تتراوح رواتبهم من (١٠،٠٠٠-٣٠،٠٠٠) ريالاً حسب مسمى الوظيفة، والخبرة، والشهادة[٢] .

وإذا ناقشنا رواتب وأجور العمالة الوافدة كالموظفين في الشركات والمؤسسات الحكومية والأهلية، أو العاملين في الأعمال الخدمية، مثل خدمة المنازل، والحدائق، أو الحراسات، أو قيادة السيارات، أو بعض الأعمال الصحية، والتجارية، والرعوية، والصناعية والمهنية فإنها تتراوح من المئات إلى العشرة آلاف ريال شهرياً لاسيما الأطباء، وأساتذة الجامعات، والمهندسين وغيرهم[٣] .

٦. التعليم، والفكر، والثقافة :

ذكر لي بعض الرواة في بلاد رفيدة أنه كان هناك بعض المتعلمين في العقود الأولى من القرن (١٤هـ/٢٠م)، وكانوا يصلون بالناس في صلواتهم، ويعقدون أنكحتهم، ويقسمون مواريثهم . وكان مستوى أولئك المتعلمين بسيطاً ومتواضعاً، ومنهم من

---

(١) أسعار الأراضي والمنازل والعمائر والشقق خلال العشرين عاماً الماضية تتراوح بين مئات الآلاف والملايين حسب حجم أو موقع الأرض أو العمارة . فهناك منزل من دورين يباع بين الأربعمائة ألف والمليون وقد تؤجر بالعشرين إلى الخمسين ألف في السنة، وذلك حسب جودة البناء والموقع، وكذلك الأرض تباع بالعشرين والخمسين ألفاً في القرى والأرياف، وهناك أراض في القرى الكبيرة أو مدينة أحد رفيدة أو على الشوارع الرئيسية في المحافظة تباع بمئات الآلاف وبعضها تقدر أسعارها بالملايين حسب المساحة والموقع. حبذا أن نرى باحثاً جاداً يدرس تاريخ الأسعار في محافظة أحد رفيدة خلال الثمانين عاماً الماضية .

(٢) هناك رواتب حكومية وأهلية للسعوديين، وكذلك رواتب للعمال والموظفين غير السعوديين (ذكوراً وإناثاً)، وتتفاوت تلك الرواتب من شريحة إلى أخرى إلا أن السعوديين يحصلون على رواتب أعلى مقارنة بغيرهم من الوافدين عرباً ومسلمين أو أجانب . وقد اطلعت على مئات السجلات والوثائق التي توضح رواتب بعض الموظفين في منطقة عسير منذ عام (١٣٤٥-١٤٣٠هـ/١٩٢٦-٢٠٠٩م) فوجدت أنها كانت بالقروش ثم الريالات القليلة في الأربعينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م)، ثم زادت مع مرور الزمن حتى أصبحت بالآلاف وعشرات الآلاف في عام (١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م) . حبذا أن نرى باحثاً جاداً يدرس تاريخ الرواتب والأجور من عام (١٣٨٠-١٤٣٩هـ/١٩٦٠-٢٠١٨م) . فهو موضوع جديد وجدير بالدراسة .

(٣) مازلت أنادي في الباحثين وطلاب الدراسات العليا . بجامعة الملك خالد، وأقول لهم إن بلادنا ثرية بتراثها وتاريخها وحضارتها القديمة والحديثة والمعاصرة، وآمل منهم ومن الأقسام العلمية في الجامعة أن يلتفتوا إلى هذه الأوطان ويدرسونها في شتى الميادين الإدارية، والاقتصادية، والاجتماعية، والعلمية والفكرية والثقافية .

تعلم في بعض الحواضر المحيطة ببلاد رفيدة مثل: الحرجة في بلاد قحطان، أو في مدينتي أبها، وخميس مشيط، وبعضهم هاجروا إلى اليمن أو الحجاز وتعلموا بعض العلوم العربية والشرعية، ثم عادوا إلى قراهم في بلدة رفيدة وغيرها من القرى في المحافظة، واستمروا يمارسون نشاطاتهم العلمية والتعليمية حتى العقد السادس من القرن (١٤هـ/٢٠م) [١].

وقد اطلعت على بعض السجلات في إدارة تعليم عسير، وبعض الوثائق المحفوظة في مكتبتي فوجدت أسماء وأمكنة وتواريخ عدد من مدارس البنين الابتدائية التي تم افتتاحها في محافظة أحد رفيدة منذ ستينيات القرن الهجري الماضي حتى عام (١٣٨٤هـ/١٩٦٤م) وهي على النحو التالي: (١) مدرسة القدس في بلدة الأحد عام (١٣٦٩هـ/١٩٤٩م)، (٢) مدرسة أحمد بن حنبل في الواديين عام (١٣٧٥هـ/١٩٥٥م). (٣) مدرسة محمد ابن القاسم في الواديين بالصبخية، آل حمد، عام (١٣٨٠هـ/١٩٦٠م)، (٤) مدرسة ابن خلدون في الفرعين عام (١٣٨٠هـ/١٩٦٠م)، وقيل عام (١٣٨١هـ/١٩٦١م). (٥) مدرسة أسامة بن زيد بالحيمة في المضيق عام (١٣٨١هـ/١٩٦١م). (٦) مدرسة عمر ابن عبدالعزيز آل دلهم، لجوان وجارمة عام(١٣٨١هـ/١٩٦١م). (٧) مدرسة قتيبة بن مسلم في قرية آل نادر بالفرعين عام (١٣٨٤هـ/١٩٦٤م) [٢].

وفي إحصائية أخرى تذكر عدد الفصول والطلاب والمعلمين في مدارس منطقة عسير الابتدائية للبنين عام (١٣٨٠هـ/١٩٦٠م)، وأشارت إلى بعض مدارس محافظة أحد رفيدة، مثل: مدرسة القدس بها ستة فصول، ومئة وسبعة وثلاثون طالباً، وفيها سبعة مدرسين، ثلاثة سعوديون، وأربعة متعاقدون. ومدرسة محمد بن القاسم في الواديين بآل حمد ثلاثة فصول، ومئة وخمسون طالباً. ومدرسة أسامة بن زيد في قرية المضيق فصلان يدرس بهما سبعون طالباً [٣].

وأول مدرسة للبنات افتتحت في بلدة الأحد عام (١٣٨٨هـ/١٩٦٨م). وتذكر إحدى سجلات إدارة تعليم عسير إحصائية إجمالية لمدارس البنات في جنوب البلاد السعودية (عسير، وجازان، ونجران) عام (٨٩-١٣٩٠هـ/٦٩-١٩٧٠م)، فكان في مدرسة البنات

---

(١) تاريخ التعليم والتعلم في منطقة عسير منذ بداية القرن (١٣هـ/١٩م) حتى عام ١٣٦٠هـ/١٩٤٠م) من الموضوعات الجديدة التي لم تدرس ويستحق أن يدرس في عدد من الكتب والبحوث العلمية، نأمل أن نرى أحد طلابنا في برامج الدراسات العليا بجامعة الملك خالد فيتخذه موضوعا لرسالة الماجستير أو الدكتوراه.

(٢) المصدر: سجلات في حوزة إدارة تعليم عسير، ومجموعة وثائق في مكتبة الدكتور غيثان بن جريس العلمية. وانظر ابن جريس، تاريخ التعليم في منطقة عسير (١٣٥٤- ١٣٨٦هـ/١٩٣٤-١٩٦٦م) (جدة :دار البلاد للطباعة والنشر، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م)، الجزء الأول، ص ٦٤-٦٨.

(٣) للمزيد انظر سجلات في حوزة إدارة تعليم عسير، وانظر أيضاً ابن جريس، تاريخ التعليم في منطقة عسير (١٣٥٤هـ/١٣٨٦هـ)، ج١، ص ٧٧، ٨٠.

الابتدائية في قرية الأحد أربعة فصول في السنتين الأولى والثانية، يدرس فيها مئة وسبع طالبات، وفي السنة الثانية ست وخمسون طالبة، ويقوم على تدريسهن وإدارة المدرسة ست معلمات متعاقدات، وحارسان، وخادمة[١] .

ثم تزايدت مدارس التعليم العام في محافظة أحد رفيدة، وافتتح في بلدة الأحد مكتب لتعليم البنات عام (١٤١٦هـ/١٩٩٦م)، ومكتب لتعليم البنين عام (١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م)[٢]، وتشير إلى عدد ثلاثة وخمسين مدرسة للبنين، عشر مدارس ثانوية، وثلاث عشرة مدرسة متوسطة، وثلاثين مدرسة ابتدائية، يدرس فيها (١١٨٠٠) طالباً، ويتولى الإشراف على إدارتهم وتدريسهم (١١٨٨) معلماً وموظفاً، بالإضافة إلى عشرة برامج تربية خاصة، وخمسة برامج صعوبة تعلم، ومركز تطوير مهني، ووحدة خدمات إرشاد، ومركز للتربية الخاصة [٣] .وعدد مدارس تعليم البنات سبع وخمسون مدرسة، ثلاثون مدرسة ابتدائية، وست عشرة مدرسة متوسطة، وإحدى عشر مدرسة ثانوية، ومدرسة ابتدائية أهلية . وعدد رياض الأطفال إحدى عشرة روضة، خمس حكومية وست أهلية، وعدد فصول الدمج الفكرية أربعة، فصلان في المرحلة الابتدائية، وفصل في المتوسطة، وآخر في الثانوية . وعدد طالبات المحافظة : (٢٩٣) طالبة تعليم الكبيرات، و (٥٠٤) طالباً وطالبة في الرياض الحكومية، و (٥٤٧) طالبة وطالب في الرياض الأهلية، و (٦٤٢٧) طالبة في المرحلة الابتدائية الحكومية، و (٩٤) طالبة في الابتدائية الأهلية، و (٤٩) طالبة في فصول الدمج الفكري، (٢٦٠٠) طالبة في المرحلة المتوسطة، (٢٢٥٦) طالبة في المرحلة الثانوية [٤] .

ويوجد في مدينة الأحد كلية علوم وآداب للبنات تتبع جامعة الملك خالد، ويدرس بها أكثر من مئتي طالبة في تخصصات علمية وأدبية عديدة . وسمعت من بعض رجال مدينة الأحد أن أهل المحافظة خصصوا أرضاً للجامعة، ويطالبون إدارة جامعة الملك

---

(١) انظر : سجلات في إدارة تعلم منطقة عسير في أبها، انظر غيثان بن جريس . تاريخ التعليم في منطقة عسير، ج١، ص ١٧٧. آمل أن نرى باحثاً جاداً يدرس التعليم في بلاد قحطان خلال القرن (١٤هـ/٢٠م)، وهذا العنوان جديد وجدير أن يصدر في كتاب أو رسالة علمية .

(٢) كان تعليم البنين إدارياً وتربوياً وتعليمياً في محافظة أحد رفيدة يتبع لمكتب الإشراف ثم التعليم في مدينة خميس مشيط، ثم استقل في إدارته من عام (١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م)، وأصبح يتبع إدارة تعليم عسير في أبها، أما مكتب التعليم الخاص بالبنات فكان يتبع إدارياً وماليا وتعليمياً لإدارة تعليم عسير، وبعد دمج تعليم البنات والبنين أصبحت إدارة تعليم عسير مسؤولة عن تعليم الجنسين، ومكتب تعليم البنات مثله مثل تعليم البنين يراجع إدارة تعليم عسير .

(٣) المصدر : حصلت على هذه المعلومات من مكاتب تعليم البنين والبنات في مدينة أحد رفيدة في شهر رجب عام (١٤٣٩هـ/٢٠١٨م) .

(٤) مصدر هذه المعلومات من مكاتب التعليم (للبنين والبنات) في مدينة أحد رفيدة، في شهر رجب عام (١٤٣٩هـ) .

خالد أن تتوسع في فتح كليات علمية وأدبية على هذه الأرض . وقد تزيد أعداد مؤسسات التعليم العالي مستقبلاً في هذه البلاد [١] .

والفكر السائد في بلاد رفيدة أن سكانها يدينون بمذهب أهل السنة والجماعة، ومن يتجول في مساجدها وجوامعها، ويجالس رجالها وشبابها يتأكد له ذلك . بل أن فيها أساتذة ومتعلمون ودعاة يقومون على نشر الثقافة الشرعية والعلمية بين أفراد هذه البلاد [٢] . هذا ما شاهدته وسمعته أثناء تجوالي في أنحاء المحافظة، وأعرف بعض أعلامها المميزين في ثقافتهم الشرعية واللغوية، وعلوم أخرى عديدة[٣] .

وكانت الحياة الثقافية متواضعة خلال القرن (١٤هـ/٢٠م)، ومنذ بداية النصف الثاني في القرن الهجري الماضي بدأ بعض الأفراد والأسر في منطقة عسير يمتلكون الراديو الذي يجلب لهم الأخبار المتنوعة من داخل الجزيرة العربية ومن خارجها[٤]، وفتحت المدارس الحكومية في محافظة أحد رفيدة وما حولها ووصلت إليها الكتب الدراسية، وبعض المصادر والمراجع العربية العامة، وجاء مدرسون متعلمون من بلدان عربية عديدة للعمل في مدارس المحافظة، وكان البعض منهم على مستوى ثقافة عربية وعلمية عالية[٥] . أيضاً جُلبت الجرائد والمجلات من داخل المملكة العربية السعودية وخارجها، وصارت الثقافة تنتشر بين الناس عن طريق وسائل عديدة، ومنذ تسعينيات القرن (١٤هـ / ٢٠م) وصل جهاز التلفاز (الراي) إلى بعض الرفيديين، ومع بداية القرن (١٥هـ/٢٠م)، وخلال العقود الأربعة الماضية انتشرت ثقافات عديدة ومتنوعة

---

(١) محافظة أحد رفيدة قريبة من مدينتي أبها وخميس مشيط، وهي جزء من حاضرة أبها التي تشمل هذه المدن الثلاثة بالإضافة إلى أن بلاد القرعاء (الفرعاء) يوجد بها مباني رئيسية لجامعة الملك خالد، التي ربما تبداء فيها الدراسة العام القادم (١٤٣٩-١٤٤٠هـ/٢٠١٨- ٢٠١٩م)، وربما ذلك يؤثر على عدم تزايد مؤسسات التعليم العالي في محافظة أحد رفيدة .

(٢) وأقول إن بلاد رفيدة جزء من بلاد تهامة والسراة التي عُرف أهلها عبر أطوار التاريخ الإسلامي المبكر، والوسيط، والحديث، والمعاصر بنقاء معتقدهم الشرعي . وربما عرفت محافظة أحد رفيدة بعض الأفراد ذوي الأفكار المخالفة لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، لكنهم قليلون . ولا تخلو أي ناحية في بلدان المملكة العربية السعودية من شواذ في آرائهم وأفكارهم، لكن السواد الأعظم مؤمنون موحدون بمصادر التشريع الإسلامي الصحيح .

(٣) حبذا أن نرى باحثاً جاداً يدرس تاريخ الثقافة والفكر في محافظة أحد رفيدة، أو منطقة عسير منذ بداية القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى عام (١٤٣٩هـ/٢٠١٨م)، وهذا الموضوع جديد ويستحق أن يدرس في بحوث علمية عديدة .

(٤) تاريخ الراديو ووسائل الثقافة الأخرى وأثرها على مجتمع تهامة والسراة منذ منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى بداية القرون (١٥هـ/٢٠م) من الموضوعات الجديرة بالبحث والدراسة في كتاب أو رسالة علمية .

(٥) نعم المعلمون والوافدون من خارج المملكة العربية السعودية منذ ستينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى العقد الأول من القرن (١٥هـ / ٢٠م) كانوا على قدر كبير من العلم والثقافة والمعرفة، وكانوا ذوي أثر كبير على المجتمع التهامي والسروي، أو على جميع مناطق المملكة العربية السعودية . وهذا الميدان جدير بالدراسة في عدد من الكتب والبحوث العلمية .

بين الناس، وأصبح الكثير من أبناء وبنات هذه المحافظة يسافرون للعمل أو الدراسة في مدن المملكة العربية السعودية الأخرى، ومنهم من سافر لنيل درجات عالية من جامعات عربية وأجنبية، وصار من شبابها من يعمل في مؤسسات ومجالات إعلامية وصحفية وثقافية، ومنهم من برز في بعض العلوم والمعارف، ناهيك عن العاملين في جميع قطاعات الدولة العسكرية والمدنية والأهلية [١] .

٧. السياحة

محافظة أحد رفيدة جزء من منطقة عسير المشهورة بمناظرها الخلابة، ومتنزهاتها الجميلة . ويوجد ضمن هذه المحافظة مدينة جرش التاريخية، وهي عاصمة مخلاف جرش قديماً [٢] . وهذه المدينة القديمة تبعد شمالاً عن وسط مدينة الأحد بكيلين، ويحيط بها سياج حديدي، وفي شرق هذا المكان جبل حمومة، وعلى بعد عدة كيلومترات غرباً يقع جبلي شكر وضمك غرب مدينة الملك فيصل العسكرية، ويوجد داخل سياج بلدة جرش متحف تاريخي تم إنشاؤه حديثاً، ولم يفتتح بعد، ويحيط بمركز جرش عدد من الأحياء السكنية الحديثة، من الناحية الجنوبية والشرقية عرق بن حنا، وآل مفرج، وآل كماة، وآل مستنير . ومن الناحية الشمالية :آل كمال، ومنهم آل أبو عريف، وآل بهلول، وآل عمر [٣] .

ومن الأمكنة السياحية في محافظة أحد رفيدة متنزه الحبلة ويبعد غرباً مدينة الأحد بـ (٤٥) كيلاً، وعن مدينة أبها أكثر من خمسين كيلاً . وهي أرض منبسطة تطل على بعض المنحدرات الشديدة، ومجهزة ببعض الإمكانات التي يحتاجها الزوار والمتنزهون مثل الحمامات، وبعض الأسواق، والعربات المعلقة . وأرضها مكسوة بالأشجار والنباتات المتنوعة. وتزدحم بالناس أثناء فصل الصيف [٤] .

ومتنزه المربع يبعد جنوباً عن مدينة الأحد بخمسة كيلومترات، ومساحته تقدر بـ (٥٠٠٠،٠٠٠م٢) متر مربع، ويوجد فيه بعض المظلات ودورات المياه . ومتنزه الصفق ويبعد عن مدينة الأحد بحوالي ثلاثة كيلومترات، وهو واد جميل مملوء بالأشجار .

---

(١) تاريخ الثقافة في سروات بلاد قحطان من ظهران الجنوب إلى بلاد رفيدة خلال المئة سنة الماضية من الموضوعات الجديدة ويستحق أن يدرس في عدد من البحوث العلمية . كما أن وسائل التواصل المتنوعة اليوم جعلت جميع أفراد المجتمع يعيشون عصر ثقافي عالمي، ولاتخلو هذه المعارف والثقافات التي تصلنا من خلال هذه الوسائل من جوانب سلبية معرفية وثقافية وتربوية وأخلاقية وعقدية كثيرة، ويجب التنبيه لهذه الآثار السلبية على الفرد والأسرة والمجتمع .

(٢) انظر تفصيلات أكثر عن تاريخ مخلاف جرش خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة في بداية هذا القسم .

(٣) مدينة جرش القديمة تحتاج تضافر جهود مؤسسات الدولة العلمية والأثرية والسياحية لدراستها دراسة آثارية وتاريخية .

(٤) حبذا أن نرى باحثاً جاداً يدرس تاريخ وطبيعة الحبلة خلال العصر الحديث والمعاصر .

ومتنزه الجوف شرق مدينة الأحد بثمانية كيلو مترات، وإلى الشمال من بلاد الفرعين، وبه أشجار ومناظر جميلة . كما لا تخلو مدينة الأحد من بعض الحدائق والألعاب الترفيهية، وهذه المحافظة تتنوع في تضاريسها من السهول إلى الجبال والهضاب والأودية[١] .

٨- خلاصة القول :

لدى محافظة أحد رفيدة مؤهلات عديدة سوف تجعلها من النواحي الحضارية الجميلة والمتطورة، وذلك لما شاهدت على أرضها من حراك تنموي وحضاري من أبنائها، ثم اتصالها بالمدن الرئيسية في سروات الجنوب كأبها، وخميس مشيط، وسراة عبيدة، وظهران الجنوب، ونجران، وبيشة . وأيضاً قيام جامعة الملك خالد قريباً منها . وما سمعته وشاهدته ثم رصدته في الصفحات السابقة ليس إلا أنموذجاً مما تعيشه وتتميز به هذه البلاد العربية الأصيلة . وآمل أن يأتي بعدنا من يستكمل ما لم أستطيع مشاهدته أو سماعه أو تدوينه، أو ما وقعت فيه من أخطاء غير مقصود. وفي جامعاتنا وجامعة الملك خالد الكثير من إخواننا وأبنائنا الذين ينتمون لهذه المحافظة الجنوبية، وأرجو منهم ألا يبخلوا علينا بإرشادنا إلى أخطائنا في هذا العمل العلمي المتواضع . كما أرجو منهم الاجتهاد في خدمة أهلهم وبلادهم معرفياً وعلمياً وثقافياً . (والله من وراء القصد) .

سادساً: آراء ووجهات نظر:

نشرنا في هذا القسم مادة تاريخية وحضارية متنوعة شملت الحديث عن حاضرة جُرش (بلاد رفيدة) منذ عصور ما قبل الإسلام، وخلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة، وأشرنا إلى بعض العشائر التي استوطنتها، وشيئاً من تاريخها . كما أوردنا صفحات من تاريخ محافظة أحد رفيدة في العصر الحديث والمعاصر، ولا ندعي تدوين كل شيء عن تاريخ وحضارة هذه المحافظة الجنوبية السعودية، لكننا ذكرنا محاور مهمة ورئيسية تستحق أن تدرس في كتب وبحوث مطولة [٢] .

---

(١) البلديات ومراكزها في محافظة الأحد مجتهدة في تطوير البلاد سياحياً وتنموياً، كما أن أعيان ومثقفي محافظة أحد رفيدة يبذلون قصارى جهودهم في تطوير بلادهم سياحياً . ونأمل أن نرى هذه الناحية في وضع أفضل وأجمل مما هي عليه الآن، وذلك بجهود رجال المحافظة ونسائها .

(٢) محافظة أحد رفيدة غنية بموروثها التاريخي والحضاري، ونأمل أن نرى من أبنائها وبخاصة الباحثين والمتعلمين أن يبذلوا قصارى جهودهم لدراسة تاريخ وحضارة وموروث هذه البلاد العربية الأصيلة .

وهنـاك عدد من النتائـج والتوصيات التي نختم بها هـذا القسم، وهي على النحو الآتي :

أولاً: بـلاد رفيدة، أو محافظـة أحد رفيدة ذات تاريخ عريق وقـديم، ومازالت آثار مدينـة جرش التاريخية ماثلة للعيان، ولا تخلو أرض المحافظة من رسـومات صـخرية، وآثاراً ونقوشاً قديمة، وبعض الآثار المادية الأخرى كالقرى التراثية ومرافقها المعمارية، والآبـار، والأحميـة، والمقابر، والسـدود، والطرق القديمة . وجميع هذه المعالم تسـتحق البحث والدراسـة في عشـرات البحوث الأكاديمية . كما يجب على مؤسسـات المحافظة الرئيسـية أن تسـعى إلى إنشـاء متحـف تاريخـي يحتوي علـى جميـع الأدوات التراثية القديمة، والمخطوطات، والوثائق الخاصة بهذه الأوطان القحطانية.

ثانيـاً: جرى على بلاد رفيدة (محافظة أحد رفيدة) الكثير من الأحداث الحربية، والسياسـية، والإدارية، والاجتماعية، والاقتصـادية، والثقافية والعلمية والتعليمية منذ فجر الإسلام إلى وقتنا الحاضـر[١] . وجميع هذه الجوانب تستحق من يدرسها ويوثقها في هيئة أعمال علمية رصينة .

ثالثاً: من الدراسات المنشورة في هذا القسم اتضح لنا أن محافظة أحد رفيدة ذات علاقة سياسية وحضارية بما حولها من المناطق والبلدان، كما وجد فيها أعيان، ووجهاء وأسر عريقة ومؤثرة في مجتمعاتها. وآمل أن نرى من الباحثين الجادين في بلاد قحطان أو في جامعاتنـا السـعودية الجنوبية من يدرس تاريخ تلك الأسـر أو الأعلام، وما بذلوا من جهود سـلبية أو إيجابية في بلادهم، وكذلك علاقاتهم مع من حولهم من العشـائر والقبائل الجنوبية السعودية [٢] .

رابعـاً: تعيشـ أرض وسـكان محافظة أحد رفيـدة اليوم في أمن وأمـان ورغداً من العيشـ مثلهـا مثـل غيرها من محافظـات ومـدن المملكة العربيـة السـعودية [٣] . ومن خـلال مقابلـة بعض أعيانها ووجهائهـا والتنقل في مدنها وقراها تبـين لي حاجتها إلى

---

(١) من يسـتقرئ تاريخ بلاد قحطان بما فيها بلاد رفيدة يجدها مأهولة بالسـكان، وأرضـها غنية بمواردها الطبيعية والاقتصادية وبالتالي لابد أن يكون لها تاريخ عريق وطويل جدير بالبحث والتوثيق .

(٢) الدارس لتاريـخ العشـائر والقبائـل العربيـة في بلاد تهامة والسـراة خلال العصـر الجاهلـي والقرون الإسـلامية منـذ فجر الإسـلام إلى العقـود الأخيرة من القرن (١٤هـ/٢٠م) يجد أن كل عشـيرة كانت صـاحبة الحل والعقد في بلادها، وكان شـيوخ القبائل وأعيانها هم الآمرون والناهون في أوطانهم، وكانت جميع القبائل في صراعات واختلافات دائمة، فلم يكونوا تحت إدارة أو إمارة أو دولة موحدة إلا بعد نشأة الدولة السعودية الثالثة في عهد الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل .

(٣) تاريخ التطور والتنمية الذي تعيشـه عموم منطقة عسـير، أو بلاد تهامة والسـراة من الموضـوعات المهمة والجديدة ويستحق أن يدرس في عشرات الكتب والبحوث العلمية .

بعض الخدمات التنموية مثل: خدمة وتطوير بعض الحدائق والمنتزهات السياحية، وتوسعة بعض الطرق البرية التي تربط مدينة الأحد مع قرى ونواح في المحافظة، وفتح بعض المؤسسات الإدارية الخدمية كالضمان الاجتماعي، وفروع للجوازات، والزراعة، ومكافحة المخدرات وغيرها، ولا يوجد في عموم المحافظة سوق كبير (مول)، كما نشاهد في مدينتي أبها وخميس مشيط، كما أن كثيراً من أبنية المدارس والإدارات الحكومية مازالت مستأجرة، مع أنه يوجد لبعضها أراض رسمية مخصصة للعمارة والتشييد .

خامساً: محافظة أحد رفيدة مليئة بالمثقفين والمتعلمين، وأساتذة الجامعات، وبعض الموظفين والمسئولين الكبار في الدولة . ومن أبناء المحافظة بعض رجال الأعمال والأثرياء المشهورين على مستوى المملكة العربية السعودية، وجميع هذه الشرائح لا نجد لهم آثاراً واضحة وإيجابية ملموسة على بلادهم وأهلهم، ونأمل منهم أن يبذلوا بعض الجهود العلمية والإيجابية في خدمة أوطانهم [١] .

سادساً: جرش القديمة في مدينة أحد رفيدة لم تعط حقها من الرعاية والخدمة، فهي ناحية تاريخية عريقة، وكانت في العصر الجاهلي والقرون الإسلامية الأولى عاصمة منطقة عسير، وربما أكبر مدينة في أرض السروات من الطائف إلى نجران. والزائر لها اليوم يجدها محاطة بسياج حديدي متواضع، وأحاطت بها الأحياء السكنية العشوائية من كل مكان، ولا يظهر فيها أو حولها أي خدمات أو جهود مميزة تستحقها هذه الناحية التاريخية القديمة . ونأمل من الهيئة العليا للسياحة، ووزارة البلديات، وجامعة الملك خالد، وإمارة منطقة عسير أن تتضافر جهودها في خدمة هذا المكان تنموياً، ومعرفياً، وتاريخياً، وثقافياً[٢] .

---

(١) من خلال تجوالي ودراساتي لبلاد تهامة والسراة خلال الثلاثين عاماً الماضية، وجدت أن أهل كل ناحية، وبخاصة أصحاب المال والعلم والثقافة لا يسعون إلى خدمة أوطانهم الرئيسية التي ولدوا فيها وترعرعوا، وقد تحدثت مع مجموعات من هذه الفئات في مناطق عسير، ونجران، وجازان، والباحة والطائف فيدلون بأعذار ضعيفة وواهية، والواجب على كل من لديه نفوذ مادي أو معرفي أن لا ينسى أهله وموطنه الأساسي مما حباه الله ورزقه .

(٢) من يزور بعض المواقع التاريخية في بعض بلاد العرب وبلدان العالم الغربية والشرقية يجدها مرعية ومخدومة، ونحن للأسف في دول شبه الجزيرة العربية لا نعير هذه الأمكنة القديمة كبير اهتمام، ونحتاج إلى تنوير ووعي كبيرين في هذا الجانب .

وهناك العديد من النقاط والعناوين التي أرى أهمية دراستها وبحثها في بحوث علمية موثقة، ومنها :

١. تاريخ بلاد جُرش قبل الإسلام (سياسياً، واقتصادياً، واجتماعياً، وثقافياً)، وأيضاً البحث في تراجم بعض الأعلام، أو القبائل التي عاشت في هذه الناحية حتى ظهور الإسلام .

٢. التاريخ الديني، والسياسي، والاقتصادي، والاجتماعي، والثقافي لمدينة جرش منذ فجر الإسلام حتى القرن (٨هـ/١٤م) .

٣. تاريخ قبيلة عنز بن وائل في بلاد جُرش خلال القرون الإسلامية الأولى وصلاتها مع غيرها من القبائل في سروات قحطان، وشهران، وعسير .

٤. تاريخ بلاد رفيدة السياسي والحضاري من القرن (٧-١٢هـ/ق١٣- ١٨م) .

٥. هناك موضوعات عديدة عن تاريخ بلاد رفيدة (محافظة أحد رفيدة) منذ بداية القرن (١٣هـ/١٩م) حتى عام (١٤٣٩هـ/٢٠١٨م)، ومنها : السياسي، والإداري، والعسكري، والاجتماعي، والاقتصادي، والثقافي، والمعرفي، وأيضاً صلات هذه البلاد مع بلاد عسير، ونجد، أو المدن الرئيسية القريبة من بلاد قحطان كأبها، وخميس مشيط، وسراة عبيدة، وظهران الجنوب، ونجران، وبيشة، وطريب، وتثليث. وأعلام محافظة أحد رفيدة في القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م)، وتاريخ التنمية الذي تمر به المحافظة من عام (١٤٠٠-١٤٣٩هـ/١٩٨٠-٢٠١٨م). وعناوين وموضوعات أخرى عديدة .